الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

السبت 15 تشرين الثاني 2025
العدد 5644 السنة العشرون
Samedi 15 Novembre 2025 no 5644 20ème année

24 صفحة
100000 ليرة

كلمات
صرخة دولوز في زمن الإبادة

«كازينو لبنان» مُهدّد بالانهيار 9
4

السعودية تعلن انفتاحاً اقتصادياً... ولبنان ينتظر الأفعال
2

روسيا والصين و«نحن»
شراكة... لا تحالف
8 - 10

(أ ف ب)

المشهد السياسي

السعودية تعلن انفتاحاً اقتصادياً... ولبنان ينتظر الأفعال

بعد سنوات من الفتور، برز في الساعات الأخيرة، موقف سعودي مختلف باتجاه لبنان، إذ أعلنت الرياض استعدادها للعودة إلى الانفتاح الاقتصادي على لبنان. هذه الإشارة دفعت إلى سلسلة من المواقف المرحّبة، خصوصاً أنها قد تعيد تشكيل المشهد الاقتصادي والسياسي بين البلدين.
الموقف جاء على لسان مسؤول سعودي رفيع المستوى، قال لوكالة «رويترز»، إنّ المملكة تعتزم تعزيز

كلام عن حوار غير مباشر بين الرياض وحزب الله، وعن وساطة إيرانية لتحسين علاقة السعودية بشيعة لبنان

العلاقات التجارية مع لبنان «في أقرب وقت»، بعدما أثبتت السلطات اللبنانية كفاية في الحدّ من عمليات التهريب في أثناء الأشهر الماضية. هذا التصريح بالنسبة إلى كثيرين ليس تفصيلاً، بل يعكس تحوّلاً في المقاربة السعودية، قوامه الانتقال من مرحلة التريّث والاشتراط الأمني إلى إعادة فتح الأبواب تدريجياً أمام التعاون الاقتصادي. ولأنها السعودية، لم تتوقّف الإشادات بهذا التطوّر، علماً أنّ هناك خشية من أن يكون الأمر مجرّد بيانات كلامية لا ترجمة لها.
واعتبرت مصادر مطّلعة أنّ «هذه المواقف تذكّر بالإجراءات السعودية تجاه سوريا، وحفلات الترويج للاستثمارات القادمة بالمليارات والتي لم يدفع منها حتى الآن فلس واحد، فكل ما حصل هو السماح لرجال أعمال من شركات ومؤسسات

(هيثم الموسوي)

خاصة بزيارة سوريا والكلام عن استثمارات مستقبلية، وهذا المشهد يتكرّر في لبنان، علماً أنّ مثل هذه المشاريع تحتاج إلى بيئة آمنة، وهو ما لم يتوافر حتى الآن في البلدين».
ويشار إلى أنها ليست المرة الأولى التي تعد فيها المملكة بدرس المعوقات التي تمنع تنفيذ الاتفاقيات بين لبنان والسعودية، وهو ما حصل حين زار رئيس الجمهورية جوزاف عون الرياض، في آذار الماضي، والتقى ولي العهد محمد بن سلمان، الذي وعد عون، بدرس الية لتفعيل الاتفاقيات بين البلدين، وهو ما لم يحصل.
وقالت مصادر متابعة إنّ «الشيء المؤكّد حتى الآن هو تبلّغ غرفة التجارة في بيروت رسمياً عن زيارة سيقوم بها وفد اقتصادي سعودي، بينهم أعضاء مجلس الأعمال، إلى بيروت، للمشاركة في مؤتمر «بيروت - 1» الإثنين المقبل، الذي سيطلقه وزير الاقتصاد عامر البساط. كما سيجري العمل على تبسيط إجراءات التأشيرات إلى السعودية».
بالتزامن، انطلقت حملة إعلامية قادتها قنوات تابعة للسعودية تروّج لـ«الحدث الكبير»، فيما قام السفير السعودي في بيروت، وليد البخاري، بزيارة إلى نقابة محرّري الصحافة اللبنانية في الحازمية، حيث قال إنّ «لبنان مقبل على خير كبير»، معرباً عن تفاؤله بمستقبل لبنان. وإذ أكّد «دعم المملكة لاستقراره وازدهاره»، شدّد البخاري على ألّا مشكلة للسعودية «مع أي مكوّن لبناني».
يشار، في هذا السياق، إلى تداول جهات دبلوماسية عربية معلومات عن قناة حوار خلفية قائمة بين السعودية وحزب الله، لتبريد الأجواء بين الجانبين، بعدما أدّت إيران دوراً في الأمر. وكانت مصادر مطّلعة قد أوضحت في وقت سابق، أنّ رئيس مجلس الأمن القومي الإيراني علي لاريجاني، أثار الأمر في أثناء زيارته الأخيرة إلى الرياض، وأنه فاتح ولي العهد السعودي بالملف من زاوية أنه لا يجوز للسعودية أن تكون في موقع معادٍ للشيعة في لبنان، وأنّ الحوار هو الحلّ الوحيد، مُذكّراً إياه، بأنه سبق للدولتين أن تفاهمتا على هامش اتفاق بكين، على ضرورة تحييد لبنان عن أي خلافات فيما بينهما، وأن تشجع إيران حزب الله على المبادرة تجاه السعودية، وهو ما أعلنه الأمين العام للحزب الشيخ نعيم قاسم قبل مدّة، حين دعا المملكة إلى فتح صفحة جديدة مع المقاومة على أساس العداء لإسرائيل. وحينها، قيل إنّ الردّ السعودي اقتصر على تلقّي الرسالة بإيجابية، ولكنّ السعودية تريد أن تبقى علاقتها مع لبنان قائمة من دولة إلى دولة. وهو أمر لا مكان له في كل ما تقوم به السعودية في لبنان، إذ زاد تدخّلها في شؤونه الداخلية بعد العدوان الإسرائيلي على لبنان.

العوفدة الفرنسية تلتقي حزب الله

في هذه الأثناء، واصلت آن كلير لو جاندر، المستشارة السياسية للرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون لشؤون الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، جولتها في بيروت. وهي التقت أمس، وفداً من حزب الله، وتمحورت المباحثات حول الوضع في لبنان عموماً. وقالت مصادر مطّلعة إنّ لوجاندر، ركزت في اجتماعها الطويل مع وفد الحزب على الوضع في الجنوب، والحرب مع إسرائيل، ودور فرنسا بوصفها شريكاً أساسياً في لجنة الـ«ميكانيزم». وفي المقابل، أعاد الحزب تأكيد موقفه، ولا سيّما ما يتعلّق باتفاق وقف إطلاق النار الذي وقع في 27 تشرين الثاني الماضي، انطلاقاً من الكتاب المفتوح الذي وجّهه للرؤساء الثلاثة. وبعد لقاءاتها مع الرؤساء الثلاثة، واصلت الموفدة الفرنسية جولتها في لبنان، والتقت كل من رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع في معراب، في حضور السفير الفرنسي هيرفيه ماغرو، كما اجتمعت مع النائب فيصل كرامي، في مقرّ السفارة الفرنسية في بيروت.

(الأخبار)

تقرير

«المجلس المركزي» يخضع للإملاءات الأميركية
كل عملية بـ1000 دولار وما فوق تتطلّب تصريحاً تفصيلياً

أصدر مصرف لبنان تعميماً أساسياً رقمه 3 موجّهاً إلى المؤسسات المالية وكونتوارات التسليف ومؤسسات الصرافة والمؤسسة التي تقدّم خدمات التحاويل النقدية الداخلية أو الخارجية المنفّذة بالوسائل الإلكترونية وللمؤسسات التي تقدّم خدمة المحفظة الإلكترونية، وقضى بأن يتمّ إجبار زبائنهم على التصريح وفق استمارة «اعرف عميلك» عن كل عملية نقدية بقيمة تساوي أو تتجاوز مبلغ 1000 دولار أميركي أو ما يعادله.
أتى هذا القرار بناءً على تعليمات موجّهة من مسؤولي وزارة الخزانة الأميركية في زيارتهم الأخيرة إلى بيروت، في إطار ما سمّي مكافحة اقتصاد الكاش وتجفيف الموارد المالية لحزب الله.
وقد استند هذا التعميم على قانون تنظيم مهنة الصرافة وعلى أحكام القرار الأساسي 7818، المتعلّق بنظام مراقبة العمليات المالية والمصرفية لمكافحة تبييض الأموال وتمويل الإرهاب، والقرار الأساسي 7548 المتعلّق بالعمليات المالية والمصرفية بالوسائل الإلكترونية، وقد نوقش في المجلس المركزي لمصرف لبنان في جلسة عقدت في 2025/11/12، أي أنّ كل أعضاء المجلس المركزي اطّلعوا عليه على الأقل وناقشوه وخضعوا للتعليمات الأميركية.
وبحسب مضمون التعميم، فإنه بات يتوجّب على كل شركة مالية، سواء كانت مؤسسة صرافة أو شركات إدارة المحافظ الإلكترونية أو معنية بعمليات التحويلات المالية العادية والإلكترونية وكنتوارات التسليف وسواهم، الإسهام في منع «إساءة استخدام النظام المالي المرخّص في عمليات مشبوهة تشكّل مخاطر مرتفعة وغيرها من الأنشطة غير المشروعة التي تهدف إلى إخفاء المصدر الحقيقي للأموال والأشخاص المستفيدين منها، وذلك عبر «جمع المعلومات والبيانات المتعلّقة بعملائها وعملياتها، والتحقّق منها وتسجيلها وحفظها وفقاً لنماذج مرفقة»، أي النماذج التي اطّلع عليها المجلس المركزي ووافق على إصدارها. وتشمل المراقبة كل «العمليات النقدية» التي تساوي قيمتها أو تتجاوز مبلغ ألف دولار أميركي أو ما يعادله.
ومنحت هذه المؤسسات مهلة لغاية 2025/12/1 لاعتماد التصريح وفق الجداول المرفقة بالقرار للعمليات النقدية ومهلة مماثلة للمعلومات المتعلّقة بالزبائن الجدد، ومهلة ستة أشهر للمعلومات المتعلّقة بأصحاب الحسابات في ما خصّ العملاء الحاليين.
وبحسب الجداول المرفقة، فإنّ المعلومات المطلوبة هي الاسم والعنوان ورقم الهاتف واسم الموظف المسؤول وقرار الترخيص والرقم

مطلوب التصريح عن التفاصيل الاجتماعية والتجارية لكل من هو معني بعملية التحويل

الضريبي ومكان السجل وتاريخ ومكان الولادة ورقم بطاقة الهوية أو جواز السفر وعنوان السكن بالتفصيل في المبنى والشارع والمعلم القريب... بالإضافة إلى عملية العملية النقدية والمصدر الفعلي لها سواء من الراتب أو إيرادات الأموال أو بيع الممتلكات وتسديد القرض والمدّخرات وأي مصدر آخر مع مستندات ثبوتية، وغرض العملية، وكيفية إحضار الأموال، والتصريح عن المهنة واسم صاحب العمل والقطاع الذي يعمل فيه ومجموع الراتب الشهري ومصادر الدخل الأخرى والوضع المالي، والوضع العائلي بكل تفاصيله من اسم الزوجة أو الزوج ومهنته وتوتيرة العمليات النقدية المتوقّعة ومتوسّط المبلغ المتوقّع لكل عملية والنشاط النقدي السنوي. طبعاً يضاف معلومات أخرى إذا كان التحويل أو العملية النقدية يعود إلى شركة أو محوّل إلى شركة بكل تفاصيلها من رقم السجل التجاري والتعريف الضريبي والشكل القانوني للشركة والوضع المالي وطبيعة النشاط التجاري ومعلومات إضافية عن صاحب الحق الاقتصادي والأطراف ذات الصلة، ونسب الملكية وكل ما يتعلّق بتفاصيل العمل والأوضاع العائلية لصاحب الحق الاقتصادي.
اللافت في هذا التعميم ليس فقط كمية التفاصيل المطلوبة للتصريح عن كل عملية نقدية بقيمة 1000 دولار وما فوق، بل في أنّ التصريح وفق القانون اللبناني تحدّد 15 ألف دولار للتصريح. بمعنى آخر، إنّ هذا التعميم الذي يحاول الاستناد إلى القوانين هو بناءاته، يخالف القانون رقم 42 الصادر في 2015/11/24، والذي صدر أيضاً بعد توصيات من مجموعة «غافي» وفي إطار مكافحة تبييض الأموال وتمويل الإرهاب بهدف اتّخاذ الإجراءات الضرورية الآيلة إلى تعقّب نقل الأموال النقدية عبر الحدود. أمّا اليوم فإنّ التعميم يعدّل في القيم الخاضعة للرقابة من 15 ألف دولار إلى ألف دولار ويوسّع نشاط الرقابة إلى العمليات الداخلية أيضاً.
ومن ناحية ثانية، فإنّ التعميم يهدف بشكل غير مباشر إلى دفع العمليات النقدية نحو المصارف، أي أن يعود اللبنانيون إلى التعامل مع المصارف التي سرقت ودائعهم.
وللتذكير فقط، فإنّ الإمارات العربية المتحدة التي كانت مدرجة على اللائحة الرمادية لم تتعامل مع المقيمين على أراضيها بالشكل المذلّ الذي يتعامل معها مصرف لبنان، أي الحاكم ونوابه وأعضاء المجلس المركزي، مع المقيمين على الأراضي اللبنانية.

(الأخبار)

تقرير

تلازم القوة والمنطق في صناعة القرار

علي حيدر

تُشكّل العلاقة بين منطق القوّة وقوّة المنطق، أحد أكثر المحاور حساسيةً في الفكر السياسي والإستراتيجي، إذ تتجاوز بُعدها النظري لتلامس جوهر الفعل الإنساني والجماعي في التاريخ. فالمجتمعات، منذ نشوء الدولة الأولى، واجهت دائماً سؤال الوجود والهيمنة: هل تُبنى السيادة على القوّة المجرّدة أم على منطق الحقّ والعقل؟ وهل يستطيع المنطق أن يصمد في مواجهة الباطل إن لم يُسنَد بقوّة تردّ العدوان وتردع الطغيان؟
لَّل التاريخ، في تجاربه الكبرى، على أنّ الأمم التي امتلكت القوّة من دون منطقٍ سقطت في هاوية الاستبداد، والأمم التي امتلكت المنطق من دونٍ قوّةٍ صارت فريسةً للمحتلين والمستكبرين. ومن هذا المنطلق، لا يمكن النظر إلى القوّة والمنطق كضدّين متقابلين، بل كركيزتين متكاملتين في معادلة البقاء والكرامة.
هناك مغالطة كبيرة، عندما يتم وضع منطق القوّة وقوّة المنطق في موقع التضادّ. كما لو أنّ على المجتمعات والدول أن تختار أحدهما على حساب الآخر. فالقوّة من دون منطق ليست سوى وصفة للتهوّر والطغيان، والمنطق من دون قوّة ليس إلا صرخةً في فراغ، خصوصاً إذا كان في مواجهة كيان مثل إسرائيل، وهو عدوّ قائمٌ على العدوان والاغتصاب. إذ يتحوّل المنطق الأعزل حينها إلى مصدر تهديدٍ سياديّ وأمنيّ وإستراتيجيّ.

أي مفاوضات من دون مرتكز للقوة تتحول إلى عملية إملاء من طرف أقوى ضعف، وتجربة حزب الله مفيدة كنموذج في إدارة الصراع

ولعلّ أبرز نموذج عمليّ لهذه الحقيقة هو حالُ العالم العربيّ في مواجهة العدوّ الإسرائيليّ والهيمنة الأميركيّة، حيث جرى التخلّي عن تفعيل عناصر القوّة الكامنة والفاعلة، فكانت النتيجة انكشافاً على المستويات كافّة: ضياع فلسطين، اهتزاز الاستقلال الوطنيّ، تعثّر مشاريع التنمية والتقدّم، وانكفاء الإرادة السياسيّة أمام منطق الإملاء الخارجيّ.
هذا المفهوم لا ينتمي إلى حقل التنظير المجرّد أو الخطاب الفلسفيّ المنعزل، بل تكمن أهميّته وخطورته في كونه يوجّه السلوك السياسيّ للمجتمعات والدول، ويشكّل محرّكاً أساسيّاً في عمليّة صنع القرار، وركيزةً جوهريّةً في بناء أيّ نهضة أو مشروع استقلاليّ.
بعبارةٍ أخرى، هذه المفاهيم ليست شعاراتٍ، بل بوصلةٌ فكريّةٌ وسياسيّة تحدّد اتجاه الحركة التاريخيّة للمجتمعات، وتضبط منطلقاتها الأخلاقيّة والإستراتيجيّة، وتؤمّن الانضباط المنهجيّ في الطريق إلى تحقيق الأهداف المرسومة.
وتؤدّي هذه المفاهيم دورها المفصليّ لأنّها تمثّل الإطار الذهنيّ الذي يُحدّد كيفية إدراك الفاعلين السياسيين للواقع، وتؤثّر مباشرة في قراراتهم وإستراتيجياتهم. فإذا انطلقت من وعيٍ متجذّرٍ بالواقع، أصبحت قادرةً على إنتاج القوة وبناء الاستقلال وتحقيق النصر. أمّا إذا انفصلت عن الواقع، فإنّها تتحوّل إلى حركةٍ قهريّةٍ نحو الهاوية مهما كانت النيّات طيّبة أو الخطابات سامية.
وتقدّم تجربة المقاومة الإسلامية في لبنان نموذجاً فريداً في التفاعل الجدليّ بين المنطق والقوّة. فقد أثبتت أنّ قوّة المقاومة والمنطق الذي استندت إليه لم يكونا على طرفي نقيض، بل في علاقة تكاملٍ وتفاعلٍ دائمَين. ومنذ انطلاقتها، وُجهت المقاومة بمقولاتٍ تشكّك في منطقها العقليّ وتصفها بالانفعال، لكنّ التجربة التاريخيّة أثبتت صدقيّة منطقها القائم على التوازن الدقيق بين القوّة الميدانيّة والعقل الإستراتيجيّ الذي يوجّهها ويعبّر عنها.
ولا تزال مواقف وخطب الأمين العام لحزب الله الشهيد السيّد حسن نصر الله، وامتداداً له خطابات أمينه العام الشيخ نعيم قاسم، تعبّر بعمقٍ عن هذا الوعي الجدليّ، إذ أكّد مراراً أنّ المقاومة «ليست عشوائيةً أو استعراضيةً أو انفعاليةً، بل يقودها عقلٌ وعزم، فلا هي جبانةٌ تتخلّى عن المسؤولية، ولا هي مجنونةٌ تذهب بوطنها وشعبها إلى وديان الهلاك» (15 شباط 2004).
هذا التوصيف الدقيق التقطه قادة العدوّ وخبراؤه، ومنهم رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيليّة إيّان تحرير عام 2000، اللواء عاموس مالكا، الذي وصف منطق المقاومة بقوله: «الشكل الذي يدير عبره نصر الله تنظيمه ينطوي على الدمج بين التفكير الإستراتيجي والسيطرة الدقيقة على التفاصيل والعمل التكتيكيّ الميدانيّ والاستخدام الذكيّ للعامل النفسيّ» («يديعوت أحرونوت»، 26 أيلول 2001).
هذه الشهادة من الخصم تؤكّد أنّ العقل المقاوم استطاع أن يصوغ منطقاً إستراتيجياً موازياً لقوّته الميدانيّة، بحيث لم يعد أحدهما تابعاً للآخر، بل صار كلٌّ منهما يُغذّي الآخر في دورةٍ تكامليّةٍ مستمرّة.
وفي مواجهة عدوٍّ يتفوّق بكلّ المعايير الماديّة والعسكريّة والتكنولوجيّة والسياسيّة، لا يمكن في أيّ مرحلةٍ من مراحل الصراع الاستغناء عن قوّة المقاومة، لأنّ أيّ مفاوضاتٍ - مباشرةٍ كانت (بغض النظر عن الموقف منها) أو غير مباشرة - لا تستند إلى قوّة، تتحوّل إلى عمليّة إملاء من طرفٍ أقوى على طرفٍ أضعف. وحتى لو أُخذت في الحسبان بعض الاعتبارات السياسيّة أو الظروف المرحليّة، فإنّها تبقى عوامل عابرة لا تصمد أمام مشروع إستراتيجيّ يسعى إلى إخضاع لبنان. وهذا ما عبّر عنه بنيامين نتنياهو أمام الكنيست (16 تشرين الأوّل 2020) حين قال: «طالما أنّ حزب الله يسيطر على لبنان، فلن يكون هناك سلامٌ مع هذا البلد». وعندما قدر أن موازين القوى قد تغيرت، خاطب نتنياهو بالصوت والصورة (بعض) اللبنانيين في الثامن من تشرين الأول 2024، خلال معركة أولي البأس، للانتفاض على حزب الله مستنداً في ذلك إلى أنه أصبح «أضعف مما كان عليه». ويبدو أن في تل أبيب من يقدّر بأن اللحظة السياسية قد اكتملت للانقضاض السياسي عبر «السلام» كمدخل لتحقيق الأهداف الأخرى.
التاريخ البشريّ لا يعرف لحظةً واحدةً استطاع فيها منطقٌ أن ينتصر على عدوٍّ من دون قوّةٍ تحميه، ولا قوّةٌ استطاعت أن تحافظ على استمراريتها من دون منطقٍ يُشرعنها ويهديها. فالقوّة من دون عقلٍ تتحوّل إلى طغيانٍ وانهيار، والمنطق من دون حمايةٍ يتحوّل إلى حلمٍ عابرٍ تذروه رياح الموازين.
وقد أثبتت التجربة اللبنانيّة أنّ ألوعي المقاوم حين يتّحد مع الإرادة المسلّحة يتحوّل إلى منظومة ردعٍ متكاملةٍ قادرةٍ على دفع أشد أنواع المخاطر، الاحتلال والدفاع. وينبغي أن لا ننسى أننا نعيش في عالمٍ لا يمكن أن تُبنى فيه الأمم بالنيات الحسنة ولا بالمنطق الأخلاقيّ وحده، بل تُبنى حين يكون المنطق قوةً، والقوة منطقاً.

(هيثم الموسوي)

اخبار

كرامي يطلب دعماً سعودياً

تنقل مصادر متابعة أنّ النائب فيصل كرامي يبحث في تشكيل لائحة انتخابية بالتعاون مع جمعية «الأحباش»، كما يسعى إلى التحالف مع النائب السابق عبد العزيز الصمد لمواجهة لائحة قد يتشارك فيها النائب الحالي جهاد الصمد والجماعة الإسلامية. وأفادت معلومات أنّ كرامي طلب دعماً سعودياً للائحته، خلال الزيارة الأخيرة للموفد السعودي إلى لبنان يزيد بن فرحان.

«القوات» تتجاوز بلدية بيروت

باشرت شخصيات محسوبة على حزب «القوات اللبنانية» تنفيذ مشاريع إنمائية في عدد من أحياء الأشرفية عشية الانتخابات النيابية، ما أثار امتعاض عدد من أعضاء بلدية بيروت الذين اعتبروا أن هذه المشاريع كان يفترض أن تُقدَّم كهبات وتخضع لموافقة المجلس البلدي. وبدأ بعض هؤلاء الأعضاء يلوّح باللجوء إلى مؤسسات محسوبة عليهم لتنفيذ مشاريع خاصة في مناطقهم، من دون المرور بالسار الرسمي لتقديم الهبات، بذريعة أنّ البلدية تهمّش هذه المناطق، طالما أن «القوات» ابتدعت هذه السابقة.

(الأخبار)

تقرير

علامات استفهام حول قرارات الحكومة
«كازينو لبنان» مُهدَّد بالانهيار

ندى أيوب

يشهد «كازينو لبنان» منذ حوالى الأسبوع حركة احتجاجية يقودها الموظفون، الذين يطالبون بتحسين رواتبهم (تبدأ من 2500 دولار)، وتحديداً موظفو ألعاب الميسر. وكان هؤلاء قد توقّفوا عن العمل الفائت إقفال أبواب الكازينو.

تهديد انتظام العمل، المُترافق مع غياب رئيس مجلس الإدارة، رولان خوري، الذي لم يعُد إلى عمله بعد، دفع بمجلس الإدارة إلى بحث إمكانية إعطاء الموظفين إضافات مؤقّتة على معاشاتهم، لتفادي المزيد من التأزم.

لكن أزمة الكازينو اليوم، لا تنحصر بقيمة الرواتب ومطالب موظفيه بزيادتها. والبحث الحقيقي هو في وضعه المالي، الحالي والمتوقّع، ولا سيّما في حال تطبيق القرارات الحكومية، التي من شأنها تقليص مداخيل القمار الإلكتروني إلى مستويات متدنّية، وسحب المراهنات الرياضية كلّياً، مع ما يعنيه ذلك من انهيار للعائدات.

فالكازينو يعتمد بشكل أساسي على إيرادات الـ«أونلاين» لتفادي الخسارة المالية، إذ إنّ مردود القمار الأرضي وحده، لا يكفي لسدّ التكاليف التشغيلية، وهذا تحديداً ما دفع خوري ووزارة المالية في العام 2023 إلى تشغيل القمار الإلكتروني. ومعزِل عن الإشكاليات القانونية المُثارة حول تشغيل الـ«أونلاين»، وتوزيع المسؤوليات بين خوري والدولة آنذاك ممثّلة بوزارتَي المالية والسياحة، وبمعزل أيضاً عن طريقة إدارة خوري وشركة «OSS» المُلتزمة تشغيل القمار والمراهنات «أونلاين»، فإنّ «كازينو لبنان» شأنه شأن جميع كازينوهات العالم، لا يمكنه الاعتماد فقط على ما يحصّله من إيرادات الألعاب الأرضية. فمنذ العام 2013 وحتى العام 2019، كان الكازينو يتارجح بين تسجيل ربح طفيف أو معقول يختلف بين عام وآخر، وبين تسجيل خسائر في أكثر من عام. الخسارات الكبرى وقعت بعد بدء صرف رواتب الموظفين بالدولار في نهاية العام 2023. وزاد العبء المالي مع إقدام الإدارة على حجز مؤونات بملايين الدولارات لتسديد تعويضات نهاية الخدمة لجزء من الموظفين الذين اقترب موعد تقاعدهم. إذ كان العام 2024 من أكثر السنوات التي يسجّل فيها الكازينو خسارات مالية، ومن المتوقّع أن يُقفل العام 2025 أيضاً على خسارة، بالتزامن مع ضغوطات مطلبية، في مؤسسة تضمّ 1,150 موظفاً.

عملياً، يعني تطبيق جميع مقرّرات مجلس الوزراء بحرفيّتها، وفي غياب أي خطّة جدّية للدولة لضبط السوق السوداء: انهيار العائدات، ومعها شركة «كازينو لبنان». وهو ما يطرح علامات استفهام، في ظلّ ما يمكن ملاحظته من سياسيات وقرارات، لا تصبّ إلاّ في خانة تحويل مرافق البلد وقطاعاته، إلى هياكل عظمية تستوجب بيعها أو التخلّص منها. وهذه القرارات هي:

- إعادة المراهنات الرياضية وجعل تنظيمها من مهام مديرية اليانصيب الوطني في وزارة المالية.
- أن يلتزم «كازينو لبنان» دفع 35% من الأرباح غير الصافية للدولة اللبنانية.
- أن يدفع الكازينو فروقات مالية للدولة (على اعتبار أنه لم يلتزم بنسبة الـ35%) بمفعول رجعي، منذ تاريخ توقيع العقد مع وزارة المالية، في آذار 2023.
- مكافحة السوق السوداء، وتوقيف كافة المنصّات غير المرخّصة، بما فيها تلك التي تعمل تحت مظلّة الشركة المشغّلة للقمار الإلكتروني «OSS».
- تدقيق في حسابات شركة «كازينو لبنان»، و«OSS» لمعرفة ما إذا كانت قيمة الكلفة التشغيلية المرتفعة مُبرّرة، على أن يُسدّد الكازينو الفروقات في حال اتّضح أنها غير مبرّرة.
- مراجعة العقد بين «كازينو لبنان» و«OSS».
- تكليف وزارة المالية وضع مشروع قانون يُدخل بموجبه قطاع الميسر الإلكتروني، ضمن قانون الامتياز الممنوح لـ«كازينو لبنان» حتى انتهاء مدّة الامتياز، مطلع أيار من العام 2027.

> **«كازينو لبنان» شأنه شأن جميع كازينوهات العالم، لا يمكنه الاعتماد فقط على ما يحصّله من إيرادات الألعاب الأرضية**

لذا، هناك تخوّف جدّي من أن يكون مصير هذا المرفق الذي تملك الدولة 50% منه، كمصير قطاع الاتصالات، بمعنى إضعافه إلى حدٍ يفقد فيه قيمته، ويصبح بيعه بأسعار بخسة أفضل من امتلاكه وتشغيله. وما يتردّد في الدوائر المعنية بالملف ليس بعيداً عن هذه الأجواء. ويخالف كلّ ما كان منتظراً من عمليات الإصلاح، وضبط الهدر، التي كانت منتظرة من فتح ملف «كازينو لبنان».

في تفصيل القرارات الحكومية، يُشار إلى أنّ المنصات التي تعمل تحت مظلّة الـ«OSS»، يقصد بها الـ«Agent». والـ«Agent» تؤمّن 83% من مدخول القمار الإلكتروني، فيما الـ17% فقط من اللاعبين يدخلون مباشرة إلى منصّة «BetArabia».

بما يتعلّق بالمراهنات الرياضية، فإنّ انتزاعها من الكازينو يعني خسارة ما نسبته 20% من إيرادات الـ«أونلاين». ويأتي قرار إعادتها إلى مديرية اليانصيب، تطبيقاً متأخّراً 13 عاماً لمرسوم حكومي، صدر في العام 2012، يمنحها تنظيم المراهنات الرياضية. ورغم أنّ احترام المراسيم أمر مطلوب، غير أنّ ذلك لا يعني عدم السؤال عن قدرة اليانصيب على التشغيل، وكيفية التشغيل، ومعرفة رؤية وزارة المالية في هذا الصدد.

أمّا الطلب من الكازينو دفع فروقات مالية بمفعول رجعي، فهو ما تقدّره مصادر معنية، بـ«ملايين الدولارات»، متخوّفةً من «انهيار كازينو لبنان، وعدم قدرته على الاستمرار، إذا ما اضطرّ لاستخدام جميع مدّخراته للتسديد، ومعها مؤونات تعويضات الموظفين، وسط خسارات يسجّلها القمار الأرضي الذي لا يغطّي كلفة التشغيل، وحتمية تدنّي إيرادات الكازينو إلى الحدود الدنيا من القمار الإلكتروني، ربطاً بتطبيق بقية قرارات الحكومة».

على مستوى توزيع النسب، فإنّ حصّة الدولة قبل تشغيل الـ«الأونلاين» كانت تمثّل 50% من الربح غير الصافي. وعند مراسلة الكازينو لـ«المالية» برغبته في المباشرة بـ«الأونلاين»، طلبت تحديد الكلفة التشغيلية، ليقدّرها الكازينو حينها بحدود 32% تشمل تكلفة إنشاء منصة «بيت أرابيا» وتشغيلها. وبنتيجة استشارة من هيئة التشريع والاستشارات تمّت الإجازة للكازينو بالتعاقد مع شركة مشغّلة لـ«الأونلاين» (رست المزايدة على «OSS»)، وأن تُحتسب حصّة الدولة 50% بعد دفع الكلفة التشغيلية. العقد وقّع بين «المالية» والكازينو في آذار 2023، ولم يلحظ نسبة 32%، إنما لحظ أنّ للدولة نسبة 50% من العائدات غير الصافية، ولحظ مسألة التعاون مع الـ«Agent».

ما حصل هو ارتفاع الكلفة التشغيلية مع دخول الـ«Agent» إلى حدود 60%، وجرى تقسيم باقي العائدات بالتساوي بين الكازينو والدولة، 50% لكل طرف. هنا اعتبرت «المالية» أنّ الكازينو لم يحترم نسبة 32%، بينما تعتبر إدارة الكازينو أنّها التزمت بإعطاء الدولة نسبة 50% بعد حسم الكلفة التشغيلية، تطبيقاً لاستشارة هيئة التشريع وللعقد الموقّع بين الكازينو و«المالية»، وأنّ الكلفة التشغيلية بنسبة 32%، قُدّرت قبل دخول الـ«Agent» إلى المشروع.

لذا، فإنّ قرار الحكومة، إلزام الكازينو دفع 35% من العائدات غير الصافية للدولة، يعني أنّ نسبة الكازينو ستكون أيضاً 35%، وفيما كلفة تشغيل المنصة هي 20%، سيتبقّى 10% لـ«Agent» في حال السماح بالإبقاء على عقودهم مع الكازينو سارية. بالتالي، فإنّ إدارة الكازينو، إمّا ستخسر الـ«Agent» الذين يؤمّنون 83% من مدخول الميسر الإلكتروني، بسبب تصنيف الحكومة لهم بأنهم غير شرعيين، وإمّا ستخسرهم لعدم قبولهم باستمرار التعاون مقابل نسبة 10%. وهي أمام تحدٍ حقيقي لإيجاد طريقةٍ ترفع فيها من إيرادات «الأونلاين»، في حال لم تُعدّل قرارات الحكومة، وإلّا فإنّ استمرار الكازينو سيكون في مهبّ الريح.

(هيثم الموسوي)

تقرير

«الداخلية» تحضّر لانتخابات نيابية دامجة: العبرة بالتنفيذ

زينب حمود

بعد كل استحقاق انتخابي، تعلو صرخة الجمعيات التي تتابع قضايا المعوّقين، ضدّ تهميش هذه الفئة من المجتمع، وعدم توفير الظروف الملائمة التي تمكّنهم من ممارسة حقّهم في التصويت، كسائر المواطنين. فيندفع المسؤولون لعقد اجتماعات شكلية، وإطلاق الوعود التي لا تجد طريقها إلى التنفيذ.

لكن عند الاطّلاع على تحضيرات وزارة الداخلية والبلديات للانتخابات النيابية، المُقترَع إجراؤها في أيار 2026، يبدو الوضع مختلفاً. إذ يعمل المعنيّون على توفير ظروف انتخابية تراعي احتياجات المعوّقين قدر الإمكان. ولذلك، عقد أكثر من اجتماع مع الجمعيات المعنيّة وفريق الـ«UNDP»، لتقييم الانتخابات البلدية الفائتة، وتجنّب تكرار الانتهاكات المرتكبة.

يبلغ عدد الناخبين المعوّقين الحائزين على «بطاقة معوّق» اليوم 116 ألفاً، في ارتفاع من 80 ألف ناخب في استحقاق 2022. ولهذا الارتفاع أكثر من سبب، من بين هذه الأسباب ارتفاع أعداد المعوّقين عموماً، نتيجة العدوان الإسرائيلي، ولا سيّما تفجير أجهزة الـ«بيجر» واللاسلكي. وكذلك، زيادة الطلب على «بطاقة المعوّق»، الناتجة عن المنح المالية التي تقدّمها «يونسيف»، والتي تساوي 40 دولاراً لكل حامل بطاقة شهرياً. يُضاف إلى الـ116 ألف ناخب، آلاف الناخبين المعوّقين ممّن لا يملكون «بطاقة معوّق»، وأكثر نقطة يركّز عليها المعنيّون اليوم لاحترام حقوق هذه الفئة السياسية، هي تجهيز مراكز الاقتراع بما يسهّل وصول جميع الناخبين إلى صناديق الاقتراع بكرامة ومن دون مساعدة أحد، خصوصاً ذوي الإعاقات الحركية.

وفي هذا الصدد، ترى رئيسة «الاتحاد اللبناني للأشخاص المعوّقين حركياً»، سيلفانا اللقيس، أنّ «إقرار الميغاسنتر يشكّل حلّاً مناسباً إذا ما جرى اختيار أماكن ضخمة ومجهّزة مثل ملعب مدينة كميل شمعون الرياضية ومعرض رشيد كرامي، وإلّا يكون نقل أقلام اقتراع الناخبين المعوّقين إلى الطوابق السفلية هو الحلّ البديل». ومع استبعاد إقرار الـ«ميغاسنتر»، يأخذ الخيار الآخر حيّزاً أكبر من اهتمام المعنيّين الذين يعملون على جبهتين: تأمين بيئات الناخبين المعوّقين والوصول إلى لائحة بأسماء جميع المدارس المناسبة، لضمّ أقلام المعوّقين إليها.

هل يوجد مراكز دامجة فعلاً؟

بالنسبة إلى البيانات، أظهرت تجربة الانتخابات البلدية الفائتة تحدّيَين اثنين: ضيق الوقت لجمع بيانات كل المناطق، والنقص فيها بسبب عدم الاتفاق على نظام واليّة عمل واضحة بين وزارتَي الداخلية والشؤون الاجتماعية. إذ سلّمت الثانية البيانات المتعلّقة بالاسم الثلاثي ورقم السجل ومكان القيد، ليتبيّن لاحقاً حاجة الأولى إلى تحديد المذهب واسم الأم. لذا، بدأت وزارة الداخلية، وفقاً للقيس، «العمل باكراً للانتخابات النيابية المقبلة، واستعرضت، قبل نحو شهر مع وزارة الشؤون الاجتماعية البيانات المطلوبة واليّة نقلها، وكانت وزارة الشؤون متعاونة لإعطاء كل البيانات المطلوبة منها». أمّا مراكز الاقتراع المؤهّلة لاستقبال المعوّقين، فـ«لا تزال وزارة التربية حتى الآن تتحفّظ على اللائحة النهائية لأسماء المدارس الدامجة، وتلك التي تحتوي على طوابق أرضية»، على ما تقول اللقيس. فهل تتجنّب الوزارة تحويل المدارس التي أعلنت أنّها باتت «دامجة» إلى مراكز اقتراع، خوفاً من اكتشاف أنّها ليست «دامجة» سوى بالاسم؟ مدير التعليم الابتدائي جورج داود، يردّ في تصريح إلى «الأخبار»، بأنّ «وزارة الداخلية لم تطلب لائحة بالمدارس المناسبة لتكون مراكز اقتراع للمعوّقين»، مؤكّداً أنها إذا طلبت «نعطيها كل البيانات، لكن عدد المدارس التي هي ملك للدولة وأنجزنا فيها أعمال الصيانة لتصبح دامجة من مصاعد ومنحدرات يبقى قليلاً جدّاً»، يعني ذلك أنّ أي مساعٍ لتمكين الناخبين المعوّقين من الاقتراع ستفشل في غياب مراكز اقتراع دامجة، ولا سيّما أنّ المدارس الرسمية تشكّل النسبة الأكبر من مراكز الاقتراع.

(هيثم الموسوي)

إضافةً إلى ذلك، قامت وزارة الداخلية بإحياء المرسوم 2214، الصادر في العام 2009، حول الإجراءات والتدابير المتعلّقة بتسهيل مشاركة ذوي الاحتياجات الخاصة في الانتخابات النيابية والبلدية، وأرسلت كتاباً إلى وزارات الأشغال والتربية والشؤون الاجتماعية ومجلس الإنماء والإعمار والجمعيات المعنيّة، لتشكّل لجنة لتطبيق المرسوم. مع العلم أنّ هذا المرسوم يتعلّق بتجهيز المباني ومواقف السيارات والمراحيض والمصاعد والمنحدرات وتدريب الفرق العاملة في الانتخابات، وسبق أن طُبّق مرّتين في عهد وزيرَي الداخلية زياد بارود ومروان شربل، لتكون هذه المرة الثالثة التي يُفعَّل فيها.

> **116 ألف ناخب معوّق مسجّل، صعوداً من 80 ألفاً في استحقاق 2022**

وتبنّت «الداخلية» أيضاً تقرير «الحملة الوطنية لتنفيذ الحقوق السياسية للأشخاص المعوّقين في لبنان» (حقّي) حول «المشاركة السياسية للأشخاص المعوّقين في الانتخابات البلدية والاختيارية لعام 2025»، وتوقّفت عند الأخطاء التي ارتكبها رؤساء الأقلام والمساعدون في التعامل والتواصل مع الناخبين المعوّقين، من إساءة وتنمّر وغيرهما، لتصدر قراراً بتدريب القائمين على العملية الانتخابية. يُشار، في هذا السياق، إلى أنّ حملة «حقّي» قامت بتدريب الفرق المعنيّة قبل الانتخابات البلدية، لكنّ ذلك لم ينعكس على سير العملية الانتخابية. وهو ما يعود إلى «ضيق الوقت، فالتدريبات حصلت بشكل سريع وامتدّت إلى ثلاث جلسات فقط، ونُفّذت ضمن نطاق ضيّق».

«الداخلية» أخذت في عين الاعتبار أيضاً أنّ هناك ناخبين معوّقين غير مسجّلين في وزارة الشؤون الاجتماعية، لن يستفيدوا نتيجة لذلك من نقل أقلام المعوّقين إلى المراكز الدامجة، لأنّ بياناتهم مجهولة. ولتأمين أعلى مستوى ممكن من الدمج في العملية الانتخابية، اقترحت الوزارة «إطلاق حملة على مواقع التواصل الاجتماعي لزيادة عدد بطاقات الإعاقة، وتشجيع الأشخاص المعوّقين على الحصول عليها، تمهيداً لتشجيعهم على المشاركة في الانتخابات، اقتراعاً وترشّحاً».

كل ذلك يُبشّر بالخير، لكن تبقى العبرة في التنفيذ، وحتى موعد الانتخابات، «نحن نترقّب، ولن نرتاح، وسنبقى العين الساهرة»، تختم اللقيس.

لماذا يترشّح المعوّق؟

تلفت رئيسة «الاتحاد اللبناني للأشخاص المعوّقين حركياً»، سيلفانا اللقيس، إلى وجود «أكثر من رأي حول أهمية وجود الأشخاص المعوّقين داخل المجالس النيابية والبلدية والاختيارية. ويشيه ذلك اختلاف الآراء من الكوتا النسائية». وتوضح أنّ «هناك من يجدها مهمة في البداية لكسر الصورة النمطية حول المرأة التي لا تقدر على إدارة الشأن العام، وبين من يجد إعطاء نسبة معيّنة من المقاعد للنساء هو إهانة للمرأة لأنها ليست بحاجة إلى هذه الطرق لتصل، بينما تملك القدرات والمؤهّلات للوصول». لكن، المنطلق الأساسي يبقى «الحفاظ على حق المعوّق في الترشّح والاقتراع والمشاركة في صنع القرار مثله مثل أي مواطن لبناني».

وعليه، لاحظت «الأخبار» حركة نشطة لدى الجمعيات المعنيّة لدعم ترشّح المعوّقين. وليكون هناك مرشح واحد على الأقل في كل منطقة. كما تدار جلسات توعية حول أهمية الترشّح، انطلاقاً من مشاركة المعوّقين في الانتخابات البلدية والاختيارية الفائتة، والتي أجمع المراقبون أنها شهدت زيادة لافتة في عدد المرشحين والفائزين.

تقرير

إلغاء «الانتداب» في التعليم الثانوي: خطوة «إصلاحية»... ولكن!

فاتن الحاج

في خطوة يفترض أن تكون إصلاحية، ألغت وزيرة التربية ريما كرامي، أخيراً، انتداب 272 مدرّساً في التعليم الابتدائي في بيروت والمحافظات، كلّفوا في العقدين الماضيين بمهام إدارية (نظّار، موظفين في المكتبات، عمّال مكتنة...) في الثانويات الرسمية. وأعيد هؤلاء «المنتدبين»، بموجب مجموعة من القرارات إلى الصفوف أو الأعمال الإدارية في المدارس الابتدائية والمتوسطة.

ومع ذلك، فإنّ عدد المبلّغين بالعودة من التعليم الثانوي إلى التعليم الابتدائي، يبدو متواضعاً بالنظر إلى العدد الإجمالي للمدرّسين «المنتدبين»، والذي يُتداول أنه يبلغ نحو 900 مدرّس.

وفيما ينتظر أن يكون هؤلاء قد انتقلوا فعلاً من الفائض في الثانويات الرسمية لتلبية حاجات المدارس الابتدائية والمتوسطة، طرحت علامات استفهام حول استثناء القرارات لمدرّسين محسوبين على قوى سياسية، ومن بينهم أقارب لأعضاء في الروابط التعليمية. كذلك، وقع كباش بين الإدارات في التعليم الثانوي والإدارات في التعليم الابتدائي، ولا سيّما في الحالات التي يكون فيها المدرّس حاجة فعليّة للثانوية الرسمية.

«المنتدبون» شكّلوا لجنة متابعة نفّذت اعتصاماً أمام وزارة التربية. ودعت في بيان إلى تجميد قرارات «ستفرغ الثانويات وتخلق شغوراً، وبازاراً جديداً للتعاقد على حساب الدولة، ولا سيّما على أبواب الانتخابات».

وأشار البيان إلى أنّ «الوزارة لم تستطع دمج مدارس يقلّ عدد تلامذتها عن 100 تلميذ، إرضاء للمحسوبيات، فيما الدمج سيؤدّي حتماً إلى فائض معلّمين وفائض تعاقد». ورأى هؤلاء أنّ «هناك خطوات إصلاحية أولى مثل دمج المدارس، التخفيف من أعداد الملحقين بمديرية الإرشاد والتوجيه، احترام الأقدمية وإلغاء بعض النشاطات»، سائلين: «هل من المنطق معاقبة معلّم منتدب إلى العمل الإداري على أساس «ناس بسمنة وناس بزيت»؟».

في المقابل، تقول مصادر إدارية إنّ هناك حاجة كبيرة لهؤلاء «المنتدبين» داخل الصفوف الابتدائية والمتوسطة، بعدما تحوّل أكثر من 65% من المدرّسين إلى متعاقدين. لكنّ المصادر نفسها تساءلت عمّا إذا كان باستطاعة من أمضى 20 عاماً ناظراً في التعليم الثانوي أن يعود إلى صفوف التعليم الابتدائي.

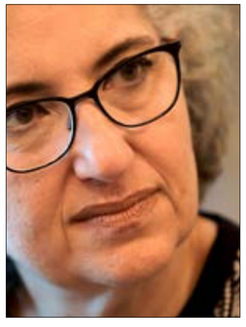
(هيثم الموسوي)

سعد الحريري: أما آن...؟!

سعد الله مزرعاني *

قبل ثماني سنوات ونيف، استُدعي الرئيس سعد الحريري إلى المملكة العربية السعودية. فوجئ اللبنانيون والعالم به يُعلن، عبر التلفزيون السعودي، استقالته من رئاسة الحكومة اللبنانية. جاء، في بيانه أن حياته مهدَّدة من قبل إيران و«حزب الله». الجهة المتهَمة نفت واستنكرت ما نُسب إليها. أثارت الاستقالة المفروضة موجة واسعة من الاستغراب والاستنكار. هي سابقة نادرة بكل معنى: الرجل رئيس ممارس لحكومة دولة مستقلة، ولو كان يحمل الجنسية السعودية، وأخرى فرنسية، إلى جانب الجنسية اللبنانية.

إلى فرض الاستقالة، نية الاحتجاز بدت واضحة من الزعم بأن حياته مهددة في لبنان. توجيه الاتهام إلى إيران و«حزب الله» له بُعدان: سياسي يتصل بالصراعات في لبنان والمنطقة، ومذهبي خطره مباشر، من حيث يُقصد منه وعبره، إثارة فتنة مذهبية داخلية!

أدى تدخل خارجي، وموقف رسمي لبناني، ومواقف مرجعيات «تيار المستقبل» وسواه، إلى وضع حد للسابقة السعودية تلك. لكن مفاعيلها قائمة حتى يومنا هذا!

وقعت هذه الحادثة، الغريبة في العلاقات بين الدول خصوصاً، في سياق إجراءات جامحة أُخرى، منها احتجاز معارضين فعليين أو محتملين لانقلاب الأمير ابن سلمان على ولي العهد المعين محمد بن نايف. كذلك ترهيب معارضين سياسيين وإعلاميين بطريقة التهديد والإقصاء وصولاً إلى القتل كما حصل بالنسبة إلى الصحافي السعودي جمال الخاشقجي الذي استُدرج إلى القنصلية السعودية في إسطنبول التركية، وأُعدم فيها بطريقة هزّت العالم. حصل ذلك في 2 أكتوبر عام 2018، أي بعد أقل من سنة من حادثة الحريري ومن احتجاز أمراء وأثرياء سعوديين بارزين في أحد فنادق العاصمة السعودية.

الغريب في الأمر، آنذاك، أن حادثة احتجاز سعد الحريري، لم تحرك حلفاءه من «السياديين» في لبنان ممّن كانوا ينسّقون نشاطهم السياسي عبر «أمانة سر 14 آذار» بإدارة «المقاوم» الدائم النائب السابق فارس سعيد وممثلي «القوات اللبنانية» و«الكتائب» وشلل «يسار» متأمرك!

المفارقة، أن من نظّم حملة مثابرة وفعّالة في لبنان، انتصاراً لسعد الحريري، واستنكاراً لاستهدافه ولاستهداف سيادة لبنان، هم، في معظمهم، خصومه التقليديون في السلطة وخارجها! في ملابسات تلك الحادثة، أن القيادة السعودية، وبعد أن فشلت في محاولتها إثارة فتنة داخلية ضد «حزب الله» عبر الرئيس سعد الحريري وبسبب رفضه للانخراط فيها، لجأت إلى استدراجه واحتجازه وإجباره على الاستقالة. أمّا بعد فشل الاحتجاز، فقد قررت «الانكفاء» عن الوضع اللبناني حتى تلبية شروطها بالضغط على «حزب الله» بسبب اتهامه بدعم حركة «أنصار الله» في صنعاء. فيما يخص سعد الحريري، فقد واصلت سلطات المملكة حملتها عليه، بكل ضراوة وشمولية. باشرت فوراً تقويض مشاريعه ومؤسساته المالية والاقتصادية والمصرفية. قررت إنهاء دوره السياسي ودور التيار الكبير الذي أنشأه والده الشهيد الذي كان الأقرب إلى قيادة المملكة، كان موفدها ووسيطها وممثلها في لبنان والعالم، قبل توليه رئاسة الحكومة اللبنانية. وهو أصبح رجلها القوي في ثلاثي فريق تسوية «الطائف» لعام 1989 التي ضمّت، أيضاً، واشنطن ودمشق في حينه!

هذا الوضع مستمر حتى الآن. وهو يشير إلى أحد أوجه الخلل في علاقات القوى السياسية اللبنانية بالخارج: السياسي، أو الطائفي، أو الاثنين معاً! يكاد لا يستثنى أحد من هذه «الميزة اللبنانية» التي اقترنت بولادة «الصيغة اللبنانية»، ثم بتكريسها في إدارة الحكم والسلطة، عبر المحاصصة الطائفية، وعبر تبعية، غالباً ما تكون مُفرطة ومفرَطة، للخارج: العربي أو الإقليمي أو الدولي.

يستمر الرئيس الحريري ممنوعاً من العودة إلى لبنان، وهو يستمر وتياره، في المشاركة في الحياة السياسية. لا يثير ذلك أي حرج للسلطة اللبنانية التي يتغنى رئيس الحكومة فيها بالعودة إلى «الحضن العربي» (السعودي)! ذلك ينطبق، قبل وبعد، على«السياديين» الذين تحولوا إلى وشاة ومحرّضين على «الشيخ سعد» لإزاحته. وهم تسابقوا على وراثته بعد معاقبته، والنيل من العمارتين المالية والسياسية اللتين ورثهما عن والده إثر إقصائه ومطاردته. بعد تعدد المستفيدين (ووضاعة معظمهم) من عزل وإقصاء سعد الحريري و«تيار المستقبل»، ليس من المتوقع أن يتحرك كل «السياديين» القدماء والجدد من أجل رفع الظلم عن حليف سابق. هم منخرطون، بالكامل، في الضغط من أجل «حصر السلاح» وتعطيله في ظل الاحتلال الإسرائيلي، والوصاية الأميركية. ذلك هو الهدف الذي يلعب الإعلام السعودي دور «أم العروس» في الترويج له والإصرار عليه في لبنان وفلسطين: لتحقيق «حل الدولتين» واستعادة الأرض: بـ«قوة المنطق لا بمنطق القوة»، بحسب معادلة رئيس الجمهورية اللبنانية الجديدة!

عادت السعودية إلى لبنان بعد نتائج العدوان الإسرائيلي الأميركي على فلسطين ولبنان. التحقت بورشة أميركية شاملة لتصفية المقاومة وإخضاع لبنان للسيطرة الأميركية على المنطقة، وفي مرحلة الشروع في إقامة «إسرائيل الكبرى» الصهيونية. المفارقة الآن أن السعودية تضع شروطها وتفرض الامتثال للشروط الأميركية، من دون أن تقدّم أي مساعدة للبنان الرسمي أو الشعبي، سياسياً أو مالياً، لمواجهة الاعتداءات الإسرائيلية المتواصلة أو لإعادة الإعمار. في السابق، كانت السعودية وبعض أطراف فريقها في «مجلس التعاون الخليجي»، يبادرون إلى تقديم مساعدات مالية بصيغة قروض ميسرة أو هبات أو ودائع في المصرف المركزي لدعم الليرة اللبنانية. الآن لا شيء من ذلك، بل ضغوط مالية وسياسية وإعلامية لنزع سلاح المقاومة باعتباره الهدف «الأسمى» والمر الإجباري للحصول على رعاية «الحضن العربي» الذي يسبّح بنعمته الأتباع دون سواهم.

تقول أغنية معروفة: «رميت نفسك بحضن سقاك الحضن حزن»، فكيف إذا أُضيفت إليه الوصاية المزدوجة الأميركية السعودية؟! كان الله في عون من لم يتّعظ!

* كاتب وسياسي لبناني

مراجعة نقديّة لتجربة حزب الله السياسيّة والعسكريّة [26]

أسعد أبو خليك *

حرب الإسناد: الدور الروسي

ليس جديداً ما ورد (قبل أسابيع) في كتاب مدير المواساد السابق، يوسي كوهين، الجديد: «سيف الحرّية: إسرائيل والموساد والحرب السرّية». يتحدّث المؤلّف (صديق حُكّام الخليج) بكلّ بساطة عن اتّفاق تمّ خلال الحرب السوريّة بين حكومة العدوّ والحكومة الروسيّة للتعاون في قصف خطوط الإمداد بين إيران وحزب الله. والكلام كان قد ورد في كتاب نتنياهو الأخير، وفيه يقول إنّ بوتين سمح له بالعمل العسكري الحرّ في سوريا، وإنّ بوتين فتح يديه أمام نتنياهو بمعنى أنّه ضبطه في سوريا، كي يفعل ما يشاء ضدّ إيران وحزب الله. الدور الروسي لم يكن مفاجئاً وكان محفوفاً بالكثير من الأوهام التي سادت في أوساط محور الممانعة. لقد «بو علي بوتين» أسبغ عليه مبكراً وتوقّع أطراف المحور أن تصبح روسيا عنصراً فاعلاً في محور المقاومة. المغالطات التي سادت في المحور حول روسيا تركّزت على: المبالغة في تقدير الموقف الروسي من القضيّة الفلسطينيّة. شرح بوتين أخيراً دور اللّوبي الروسي في إسرائيل في التقريب بين إسرائيل وروسيا. الموقف الروسي من القضيّة الفلسطينيّة موقف لفظي مَحض ولا يتصدّى للطروحات الإسرائيليّة في المحافل الدوليّة ولا يقدّم دعْماً للشعب الفلسطيني. الموقف السوفياتي من إسرائيل كان تحت السقف العربي (بكثير) في كلّ سنوات الحرب الباردة. وأدّى الاتّحاد السوفياتي دوراً مؤثّراً في تخفيض سقْف الطروحات الفلسطينيّة.

> بوتين شريك في كلّ الحرب الإسرائيليّة على المحور برغْم تقاربه مع إسرائيل التي يراها -كما تراها الصين- مفتاحاً لتحسين علاقاته مع أميركا

وموسكو هي التي طوّعت الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين من أجل منْع تطوّر عمليّاتها كما أراد ذلك وديع حدّاد وعدد من المؤسّسين الأوائل. وكان الاتّحاد السوفياتي يضغطُ على منظّمة التحرير لتليين مواقفها وإعداً بتسوية دولية تشترك فيها أميركا مع الاتّحاد السوفياتي كالعادة في الحرب الباردة، خدعت أميركا الاتّحاد السوفياتي وكانت تعمل جاهدة من أجل إبعاد الاتّحاد السوفياتي (وإسرائيل لم تكن تقبل بأيّ مسار تفاوضي يضع أميركا والاتّحاد السوفياتي على المستوى نفسه). العرب مسؤولون عن الهزيمة في 1967 والسادات مسؤول بدرجة كبيرة عن الهزيمة في 1973، لكنّ الاتّحاد السوفياتي لم يكن يوماً يمنح العرب من الدعْم السياسي والعسكري ما كانت أميركا تمنحه لإسرائيل. اكتشفت فصائل منظّمة التحرير في صيف 1982 أنّ الاتّحاد السوفياتي ليس في وارد تحدّي أميركا وإسرائيل، وأنّه سيتركها وسوريا ولبنان (وقواه «الوطنيّة») لمصيرهم. وصول أندروبوف إلى السُّلطة أنعش الكثير من الآمال في تلك الحقبة، ولكنّه لم يعمّر طويلاً في الحُكْم.

هل أنّ إيران والحزب عوّلا خطأً على الدعم السوفياتي؟ من المؤكّد أنّ الإعلانات المتكرّرة من إيران عن اتّفاقيّات أمنية وعسكريّة مع روسيا كانت إعلانات فارغة. والعناوين البرّاقة عن شبكة الصواريخ الروسيّة كانت من باب التمنّي. كانت إعلانات تزويد إيران بشبكات صواريخ روسيّة تتكرّر في الإعلام، والأمر عينه تكرّر في حالة سوريا. وعندما عرض قاسم سليماني على بوتين أن تقوم روسيا بالتدخّل العسكري في سوريا وافقت موسكو، ولكنْ بشروطها هي التي لم تشاركها على الأرجح للحلفاء. لم يتمّ نشْر بنود الاتّفاقيّة الأمنيّة والعسكريّة التي تدخّلت روسيا على أساسها في سوريا، لكنّ الحلفاء سرعان ما اكتشفوا أنّ التدخّل العسكري الروسي لا يشمل أبداً الدفاع عن سوريا، وليس النظام فقط، من النيران الإسرائيليّة المتكرّرة. لا مجال للحديث هنا عن صوابيّة استماتة المحور في الدفاع عن النظام السوري. كان واضحاً أنّه فقد شرعيّته الشعبيّة وأنّ بشّار الأسد معزول بالكامل وأنّ الفساد يتوسّع وينتشر في أوساط النظام. لم يكن هناك محاولة من بشّار الأسد لمخاطبة شعبه أو استمالته (يصوّر فاروق الشرع في الجزء الثاني -الصريح- من مذكّراته شخصيّة بشار الأسد المُنفّرة وكيف أنّه كان مغروراً ولا يستمع إلى مستشاريه).

فشل محور المقاومة في فهْم دوافع النظام الروسي في تدخّله في روسيا. لم تكن روسيا في وارد تحدّي واشنطن، أو إسرائيل. إنّ الصين وروسيا (كما بعض الدول العربيّة) يزون أنّ مراضاة إسرائيل ومحاباتها هي من ضرورات الحفاظ على علاقة جيّدة مع واشنطن. حتى في زمن الاتّحاد السوفياتي، كان اللّوبي الإسرائيلي هنا يؤثّر كثيراً في صنْع القرار نحو الاتّحاد السوفياتي. وأقطاب اللّوبي الإسرائيلي في الكونغرس، مثل سكوب جاكسن وجاكوب جافيتز، أدّوا دوراً مهمّاً في تصليب مواقف الإدارات الأميركيّة نحو إسرائيل. كانت العلاقة تخضع لمدى قدرة الإدارة على ترتيب الإفراج عن صهاينة روس والسماح لهم بالهجرة إلى إسرائيل. وكانت الحركة الصهيونية تتحايل من أجل تسهيل الهجرة إلى إسرائيل (فعلت إسرائيل الأمر عينه بالنسبة إلى هجرة اليهود العرب. كانت تضغط على الدول العربيّة، بما فيها سوريا في عهد حافظ الأسد، متعهّدةً -كذباً- أنّ المهاجرين اليهود لن يلجؤوا إلى إسرائيل. في لبنان، زها الصحافي محمد الشمعة قبل بضْع سنوات في مقالة في «لوريان لوجور» أنّ مهاجرين يهوداً لجؤوا إلى لبنان وأنّ لبنان أواهم، بصرْف النظر عن لجوء معظمهم أو كلّهم إلى إسرائيل وقتالهم ضدّ العرب. ولاحظ الإعلام الغربي تلك المقالة المتعاطفة مع الصهيونية وكافأت «واشنطن بوست» الصهيونيّة الصحافي اللّبناني بعرْض عمل قبله).

الصين التي ينتظر الكثيرُ من العرب والمسلمين صعودها كي تزيح أميركا عن سدّة السيطرة العالميّة لا تزال تساير إسرائيل. والأكاديمي السعودي المجتهد، محمد السديري، نشر عن الدعاية والعمل الصهيوني في الصين، لبنان أواهم، والمسؤول الإيراني، محمد الصدر، صرّح في يونيو من 2025 أنّ روسيا أمدّت إسرائيل بمعلومات عن الصواريخ الإيرانيّة. لم يكن للتصريح أصداء في لبنان.

والتدخّل العسكري الروسي في سوريا كان يشمل تواجداً أمنيّاً واستخباراتيّاً (إلكترونياً وبشريّاً) فلماذا لم يتساءل عناصر المحور عن تمنّع روسيا عن مشاركته في معلومات عن الوجود المعادي الكثيف ضدّهما في سوريا؟ وعلى أيّ أساس حافظ الحزب على تواجده الكثيف في سوريا بعد أن تبيّن أنّ روسيا حتماً متواطئة في الحرب الإسرائيليّة ضدّ المحور في سوريا نفسها، التي كان من المفترض أن تكون تحت مظلّة حمايةٍ روسيّة؟ وفي كتاب «سيف الحريّة» المذكور آنفاً يتوضّح أنّ إسرائيل وروسيا شكّلا شبكة وضباط ارتباط لتنسيق القصْف والقتْل الإسرائيلي وأنّ روسيا كانت تأخذ علماً مسبقاً بالعمليّات. أي إنّ روسيا مسؤولة ضمناً عن قتْل قادة لبنانيّين وإيرانيّين وسوريّين على الأرض السورية. كان يمكن لروسيا أن تنبّه بعض هؤلاء (وهم متحالفون معها نظريّاً) لكنّها أرادت أن تخدم الأجندة الإسرائيليّة.

ثم هناك جانب آخر في ملفّ التدخّل العسكري الروسي في سوريا. ماذا كان أفق هذا التدخّل؟ وإلى أيّ حدّ كانت روسيا تخدم الأجندة الأميركيّة وتستخدم التنسيق بينها وبين إسرائيل كي تكسب ودّ الإدارات الأميركيّة؟ إنّ سقوط بشّار الأسد (وهو غير مأسوف عليه، بالطبع) تمّ بترتيب مؤكّد من روسيا. إنّ استقبال أحمد الشرع في روسيا لم يكن بدلّ على أنّ العلاقة مستجدّة بل هي وليدة سنوات عمل لروسيا في سوريا. إنّ إسقاط النظام كان على الأرجح عملاً روسيّاً - إسرائيليّاً - خليجيّاً - أميركيّاً - أوروبيّاً مشتركاً. وروسيا سمحت لجمهورية إدلب بالتوطيد والتمدّد وكان بوسعها أن تلاحق أحمد الشرع ومجموعته، ولكنّها ارتأت غير ذلك. وهل كانت روسيا بأجهزة استخباراتها تزوّد إسرائيل بمعلومات عن تحرّكات أعدائها (أعداء إسرائيل وحلفاء روسيا المفترَضين) كي تقبض ثمن ذلك في واشنطن؟ وكلّ ذلك كان واضحاً في السنوات الماضية ودفع روسيا لبشار الأسد بالرحيل (تحت خدعة التنقّل في الداخل السوري) كان عاملاً أساسيّاً في تسهيل وصول الشرع إلى السلطة. والشرع يتعامل مع روسيا بغير ما يتعامل به مع إيران، ما يدلّ أنّ الأحقاد لم تكن عميقة، إذا كان هناك من أحقاد. النظام السوري الجديد لا يذكر إلّا التدخّل الإيراني وتدخّل حزب الله فقط. وليس من المستبعد أن تكون إسرائيل هي التي توسّطت قبل سقوط النظام بين الحكومة الروسيّة وحكومة إدلب.

الحزب تغاضى عن كلّ ذلك وكان يحسّن علاقته (كما ظنّ) بالحكومة الروسيّة وكان يدعو إلى المزيد من التعاون معها. وهل هي مصادفة أنّ كل الكلام عن مساعدة روسيّة، عسكريّة أو تقنيّة، للبنان كانت مجرّد كلام أوهام؟ كنّا نسمع عن مشروع لمدّ لبنان بالكهرباء أو بالسلاح وكلّ ذلك لم يُترجم حتى عندما كان الحُكم موالياً لمحور المقاومة. الحزب تعرّض لخديعة ومشى في مسار التحالف مع روسيا حتى عندما تبيّن أنّ القصْف الإسرائيلي يتمّ برضى روسي. والغريب: لم يصدر أيّ موقف نقْد أو حتى تساؤل مِن قبل الحزب حول الموقف الروسي بعد سنتيْن من الحرب الإقليمية التي كانت فيها روسيا متواطئة.

(يتبع)

* كاتب عربي

حسابه على إكس «@asadabukhalil»

سياسيون وصحافيون عرب في جعبة الوكالة اليهودية [2]

بدر الحاج *

كثّف قادة القسم العربي في الوكالة اليهودية، أثناء، الثورة الفلسطينية الكبرى 1936-1939، زياراتهم ولقاءاتهم مع القادة العرب للعمل معاً على إيقاف تدفّق السلاح والمقاتلين إلى فلسطين بهدف نصرة الثوار ضد الاحتلال البريطاني والعصابات الصهيونية. مروحة الاتصالات، كما ذكرنا في المقال السابق، كانت واسعة شملت كل الشخصيات الرئيسية سواء كانت سياسية أو دينية أو صحافية. العودة إلى ما حدث في تلك الاتصالات، سواء ما دوّنه إلياهو ساسون في مذكراته أو في التقارير الأمنية الفرنسية، ومقارنتها بما يحدث اليوم، تشير بوضوح إلى أن الهدف الصهيوني الثابت هو إبعاد المواطنين عن فكرة العمل المسلّح والدعم لإخوانهم في فلسطين والاستعانة بالمسؤولين لتحقيق ذلك، وأيضاً تمويل الإعلام العربي لتثبيت فكرة بأن على المواطنين الذين يعيشون في الكيانات السياسية حول فلسطين الاهتمام فقط بشؤونهم الاقتصادية والمعيشية. والخلاصة التي تم تسويقها أن الرفاه الاقتصادي سيتم فقط بالسلام والتعاون مع المشروع الاستيطاني، وهذا هو لبّ ما يطمح إليه اليوم الصهاينة وحلفاؤهم من الغرب وبعض الأنظمة العربية. استعمل الصهاينة المال لشراء مواقف الدعم. لقد أدركوا جيداً أن المال هو الوسيلة الأنجع لجني تأييد أشخاص يمثّلون طوائفهم. لذلك نجد أسماء من كل الطوائف مجندين للعمل مع الصهيوني، فالمال يؤمن لهم دوام النفوذ، وهذا ما يلاحظ اليوم في الأداء السياسي لكثيرين. شعار هؤلاء المرتزقة: «ادفعوا واحمونا بنفوذكم مع الغرب، ونحن جنودكم». أخيراً، ليس المال العامل الوحيد، فهناك أثرياء انضموا في مشروع التسويق لـ«السلام» مع إسرائيل، والسبب أن مصالح معظم هؤلاء تكون في السير مع المشروع الاستسلامي الذي بنظرهم يؤمّن لهم دوام النفوذ والتسلّط.

التالي بعض ما جاء في تقريرين كتبهما إلياهو ساسون إلى موشيه شاريت عن لقاءاته مع رئيس وزراء لبنان الأسبق خير الدين الأحدب. كان الأحدب عميلاً بالمعنى الحرفي عند ساسون يتلقى المال منه ويموّل صحيفته «العهد الجديد»، لذلك، تعهّد بالقيام بما يطلبه الصهاينة لمجرد سعيه إلى إعادته للحكم (ما أشبه اليوم بالبارحة!).

2 أيلول 1937، بيروت

عزيزي موشيه. (1)

خلال ذلك اليوم، التقيتُ ببعض معارفي في الحكومة اللبنانية وخارجها، وجمعتُ المعلومات الآتية:

قبل أيام قليلة، زار مُعين الماضي (2)، مبعوث «اللجنة العربية العليا» إلى الدول المجاورة، بيروت، وتحدّث مع خير الدين الأحدب، رئيس الوزراء اللبناني، حول ضرورة انضمام لبنان إلى الدول العربية في احتجاجاتها على تقسيم فلسطين ودعمها لسكانها العرب. ووعد خير الدين بمناقشة هذا الأمر مع البطريرك الماروني ورئيس الجمهورية والسعي إلى الحصول على موافقتهما. استمرّت المحادثات بين مُعين الماضي وخير الدين الأحدب ورئيس الجمهورية ثلاثة أيام، وانتهت برفض الرئيس القاطع للمقترح. ومطالبته الشديدة بوقف محاولات الفلسطينيين في هذا الصدد. أثار موقف رئيس الجمهورية اللبنانية غضباً شديداً في صحيفة «الإنشاء» السورية الحكومية، إذ ثار غضب العرب في سوريا، وعبّر عنه في مقالاتٍ هاجمته. أبلغت الحكومة اللبنانية أميل الغوري، أمين عام الحزب العربي الفلسطيني (المُنتمي إلى المفتي الحسيني)، بوجوب مغادرة لبنان فوراً. وجاء، هذا الطرد نتيجة محاولات إميل الغوري تحريض المعارضة اللبنانية على التدخل في الشأن الفلسطيني. ويُقال إن إميل التقى مرات عدّة بيشارة الخوري وأصدقائه، وأكّد لهم دعم المسلمين اللبنانيين في حربهم ضد الحكومة إذا ما تضامنوا مع فلسطين. وقد فرّقت الحكومة بالقوة اجتماعاً عُقد في بحمدون، حضره أميل الغوري، ومُعين الماضي، وبشارة الخوري، وشخصيات أخرى من فلسطين وسوريا ولبنان. ويُقال إن الحكومة اللبنانية أبلغت مَن تلقّوا دعوات للمشاركة في مؤتمر اللد بأنهم غير مُخوّلين بالتحدّث باسم لبنان. من المرجّح ألّا يشارك مسيحي واحد من لبنان بالمؤتمر.

يُقال إن من بين القرارات التي ستُتخذ في مؤتمر بلودان قراراً يُلزم المسلمين والعرب في كل مكان بمقاطعة البضائع الإنكليزية والصهيونية. كما يُقال إن منظّمي المؤتمر توصّلوا إلى اتفاق مع محطات الإذاعة في باريس وبرلين، التي ستبثّ ملخّصاً لمناقشات جلسات المؤتمر كل مساء. تجري مفاوضات بين القدس والقاهرة ودمشق بشأن رئاسة المؤتمر. يُطالب الاستقلاليون بانتخاب نوري باشا السعيد، بينما يقترح الحسينيون الأمير شكيب أرسلان، ويطالب السوريون بانتخاب شخص مجايد. يتّهم السوريون نوري باليل إلى إنكلترا والأمير شكيب أرسلان باليل إلى إيطاليا، ويخشون من أن يُدير كلٌ منهما المؤتمر وفقاً لمصالح إحدى الحكومات.

مرفق بهذه الرسالة برنامج مؤتمر بلودان. سأغادر إلى دمشق هذا المساء.

محادثة مع رئيس وزراء لبنان السابق، خير الدين الاحدب:

«في 18 من هذا الشهر (18.4.1938)، الساعة السادسة مساءً، التقيتُ في حيفا على متن الباخرة الفرنسية «باتريا» برئيس وزراء لبنان السابق خير الدين الأحدب، وكان في طريقه إلى باريس.

طلبتُ منه أن يحاول التأثير على رجال وزارة الخارجية الفرنسية (كي دورسيه) لإرسال تعليماتٍ عاجلة إلى السلطات الفرنسية في سوريا ولبنان لمراقبة نشاطات المنفيين من عرب الفلسطينيين هناك، وبخاصة تصرفات المفتي، الذي جعل من مقرّه في الزوق مركزاً للتحريض والدعاية الموجّهة إلى جميع بلدان الشرق الأدنى.

أجابني محدّثي أن مسؤولي المفوضية العليا الفرنسية في بيروت طلبوا منه أن يؤكد للسلطات في باريس صحة التقارير التي أرسلوها عن «حُسن تصرّف المفتي» والتزامه بوعده بعدم القيام بأي نشاط سياسي.

في لبنان، ووفقاً لشروط اللجوء»، طلب منه أيضاً الدكتور سامح الفاخوري، قريب المفتي، أن يسعى إلى نفي جميع الأخبار التي ينشرها اليهود في باريس ولندن وجنيف، والتي تزعم أن المفتي وأعوانه يعملون على تقويض نفوذ إنكلترا وفرنسا في الشرق. كما طلب منه الدكتور الفاخوري أن يحذّر الفرنسيين من أي محاولة للمساس بالمفتي، لأنها قد تضر بمصالحهم كافة في المنطقة. في المقابل، وعده رجال المفوضية العليا الفرنسية والدكتور الفاخوري بدعمه في كل أزمة حكومية في بيروت. وبحسب قوله، فهو يعتزم أن يعرض على أصدقائه في باريس وجهة نظره حول الأخطار التي تتهدد فرنسا ومصالحها في الشرق العربي نتيجة الدعاية السامة التي ينشرها المفتي وأتباعه في البلاد العربية ضد الأجانب، ومن بينهم الفرنسيون. وسيحاول أن يثبت أنه لا يوجد حلّ آخر سوى إبعاد المفتي إلى إحدى المستعمرات الفرنسية، ونفي أتباعه إلى شمال سوريا أو إلى مصر. وقال إنه مستعدٌ لعرض قضية نشاطات المفتي في لبنان وسوريا أمام أي رجل دولة فرنسي.

كان محدّثي سعيداً حين سمع عن الزيارة القريبة لـ حاييم وايزمان إلى باريس، وطلب أن يلتقي به ليناقش معه قضية المفتي، والوضع السياسي في لبنان وسوريا، وجهود الكاريديال تيوني لإقامة نظام مستقل في الجزيرة، وكذلك الأحاديث المختلفة التي سيجريها مع الفرنسيين. وأشار رئيس الوزراء أيضاً إلى أن نفوذ المنفيين الفلسطينيين في لبنان ازداد كثيراً بعد صعود الأمير خالد شهاب إلى الحكم. فالأمير خالد عضو في حزب رياض الصلح، وهذا الحزب يشجع الحركة القومية العربية في لبنان. ولذلك، فإن الأمير خالد شهاب يلبي برغبةٍ تامة طلبات المفتي.

ويرى محدّثي أنه يجب أن نوجّه جهودنا في باريس نحو ثلاث غايات: إبعاد المفتي عن لبنان، عزل المندوب السامي الفرنسي دي مارتيل، وإعادته هو (خير الدين الأحدب) إلى الحكم.

وفي نهاية الحديث، وعد خير الدين الأحدب بأن يدعم، في محادثاته مع الفرنسيين والإنكليز، وجهات نظرنا في قضايا «أرض إسرائيل»، وطلب أن تُنقل تحياته الحارة إلى موشيه شرتوك».

* كاتب لبناني

هوامش

(1) موشيه شاريت ديبلوماسي صهيوني من أصل أوكراني تولى في بداية 1933 منصب رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية.

(2) معين الماضي مناضل فلسطيني شارك عام 1933 مع مجموعة من رفاقه تأسيس حزب الاستقلال العربي بهدف الكفاح ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية.

على الغلاف

طريق الرهان على إسرائيل مسدود

روسيا والصين ونحن: هكذا تتقاطع المصالح

ليس لطام إسرائيل سوى الوقوف مع واشنطن في مواجهتها الاستراتيجية مع بيكن وموسكو (عن الويب)

وليد شرارة

«تسلّل» المنافسين الدوليين للولايات المتحدة، وعلى رأسهم روسيا والصين، إلى الشرق الأوسط، كان من بين التطورات التي أقلقت الإدارات المتعاقبة في الولايات المتحدة في أثناء العقد الأخير. صحيح أنّ هذه الإدارات أعلنت جميعها أنّ التصدّي لصعود بكين هو أولويّتها الأولى للحفاظ على موقع واشنطن المهيمن على رأس هرم النظام الدولي، غير أنها كانت تدرك أيضاً أنّ تلك الهيمنة العالمية تستند إلى السيطرة الأميركية على الأقاليم ذات الأهمية الاستراتيجية، وبينها إقليمنا. ليس من المبالغة القول إنّ الحرب المسعورة الإسرائيلية - الأميركية - الغربية على الشعب الفلسطيني وعلى قوى المقاومة الدولتية وغير الدولتية في الإقليم، ابتغت تحقيق عدّة أهداف، في مقدّمها القضاء على جميع القوى المذكورة إن كان ذلك ممكناً، أو إضعافها إلى الحدّ الأقصى، ولكنها رمت أيضاً إلى إعادة «الحلفاء التقليديين» إلى بيت الطاعة الأميركي، بعدما اتّضح ميلهم المتدرّج، ولكن المتزايد، إلى تنويع الشراكات مع الأطراف الدولية. بكلام آخر، «العصا الغليظة» الإسرائيلية، التي أكّدت هذه الحرب مرة أخرى ارتباطها العضوي والوجودي بالمركز الإمبريالي الأميركي، لم تُستخدم فقط ضدّ مَن تصنّفهم واشنطن أعداء، بل كذلك لتطويع «الأصدقاء»، وحملهم على الانصياع لإملاءاتها، وبينها وقف تنامي علاقاتهم المتعدّدة المجالات مع بكين وموسكو. ومن هنا، لن يكون من خبار أمام إسرائيل، سوى الوقوف مع الولايات المتحدة في مواجهتها الاستراتيجية مع هاتين القوّتَين الدوليتَين، وهو ما سيترك تداعيات على موقفهما من الكيان، وإن على المدَيين المتوسّط أو البعيد.

قرار روسيا والصين بالعودة إلى تأدية دور سياسي مباشر، وإن بدرجات متفاوتة، في الشرق الأوسط، ارتبط بسياقات جيوسياسية، سمتها الأبرز اعتماد الولايات المتحدة استراتيجية عدوانية حيالهما تسعى إلى احتوائهما في جوارهما القريب، ووقف صعودهما كقوى دولية منافسة. نسجت الدولتان، منذ عقود، علاقات اقتصادية وتجارية مع جميع دول الإقليم بلا استثناء، لكنهما امتنعتا لمدّة طويلة عن تأدية دور سياسي لعدم استفزاز واشنطن، في إقليم تُعدّه الأخيرة «منطقة مصالح قومية حيوية» لها، وفقاً للتعبير الرائج في التقارير الرسمية الاستراتيجية الأميركية. لكن خطاب الرئيس الأميركي الأسبق، باراك أوباما، عن الاستدارة نحو آسيا في أواخر 2012، الموجّه ضدّ الصين، والانقلاب المدبّر من الغرب في أوكرانيا في 2014، الذي تلاه التدخّل الروسي في القرم وفي شرق هذا البلد، هما تطوّران دفعا الدولتين إلى اتّباع مقاربة جديدة في تعاملهما مع الولايات المتحدة.

لا يمكن فصل التدخّل الروسي في سوريا سنة 2015، عمّا جرى قبل عام من ذلك التاريخ في أوكرانيا. والأمر نفسه ينسحب على الصين التي بدأت تجاهر بمعارضتها للسياسة الأميركية العدوانية تجاه إيران وسوريا، ولم تتردّد في التوسّط بين السعودية وإيران لتطبيع العلاقات بينهما، وهو ما تُوّج باتفاق بكين في 2023. وقد استفادت القوّتان الدوليتان في الواقع من وجود طلب على دورهما، من قبل أطراف محور المقاومة المناهض للسيطرة الأميركية، ومن قبل حلفاء الولايات المتحدة التقليديين أيضاً.

لقد أتى تعزيز العلاقات بين كل من روسيا والصين من جهة، وإيران من جهة أخرى، على سبيل المثال لا الحصر، ردّاً على سياسات أميركية معادية تجاه الدول الثلاث، وإن بقيت هذه العلاقات محكومة إلى الآن بسقف لا يرقى إلى مستوى التحالف الاستراتيجي الذي يجمع الولايات المتحدة بحلفائها الإقليميين وفي طليعتهم إسرائيل. أمّا دول الإقليم الصديقة لواشنطن، كتركيا والسعودية ومصر، فقد اتّجهت إلى توثيق صلاتها ببكين وموسكو، نتيجة لقناعتها بالتراجع النسبي، ولكن المستمرّ، للنفوذ الأميركي على صعيد عالمي، ولأزمات الثقة المتكرّرة بينها وبين الأميركيين منذ أكثر من عقد، وأيضاً لرغبتها في تنويع الشراكات في علاقاتها الخارجية لما يحقّقه ذلك من مَكاسب، وهو ما بات يمثّل ميلاً متعاظماً لدى بلدان الجنوب يسمى بلغة العلاقات الدولية «التحوط» (Hedging). ثمّ أتت الأزمة الأوكرانية لتظهر أنّ دول الإقليم بمجملها، باستثناء الكيان الصهيوني، ترفض الانصياع للإملاءات الأميركية في ما يتعلّق بالعقوبات على روسيا؛ وأنها، عبر تمسّكها باتفاق «أوبك +» الذي حافظ على أسعار مرتفعة للنفط، أتاحت لموسكو القدرة على الاستمرار في تمويل مجهودها الحربي. ومن البديهي أنّ مثل تلك التطوّرات تتناقض مع المصالح الاستراتيجية لواشنطن.

أمّا بالنسبة إلى إسرائيل، فإنّ اعتبارات سياسية واقتصادية وتكنولوجية تحكم علاقات روسيا والصين معها. كثيراً ما يذكّر بعض المسؤولين في روسيا بالعلاقات التاريخية والإنسانية التي تجمع بينها وبين الكيان الصهيوني، وأوّلها وجود حوالي المليون من الناطقين بالروسية فيها. قد يكون هذا المعطى من بين الأسباب التي تحمل موسكو على الحرص على هذه العلاقات، لكن هناك معطيات أخرى تفسّر ذلك، كَرهانها على عدم نقل إسرائيل لتكنولوجيا عسكرية متطوّرة إلى الطرف الأوكراني، أو على قيام اللوبي الصهيوني في الغرب، بحملات لصالحها لتخفيف العداء المسعور المستشري ضدّها في بلداننا. كما هناك أيضاً الصلات المالية الوطيدة بين بعض قطاعات النخب الاقتصادية الروسية والإسرائيلية.

على أنّ مثل هذه الرهانات ستخيب في حال احتدام الصراع في أوكرانيا بين روسيا والغرب، لأنّ إسرائيل لا تملك ترف المضيّ في سياسة النأي بالنفس حياله. كما أنّ ارتفاع حدّة المواجهة بين الصين والولايات المتحدة سيضطر الكيان للتموضع إلى جانب راعيه الأكبر؛ ولن تحول الاستثمارات الصينية في قطاعات مختلفة من الاقتصاد الاسرائيلي، ولا حتى في المستوطنات في الضفة الغربية المحتلة، والحال هذه، دون التزام إسرائيل بالأجندة الاستراتيجية الأميركية. وعليه، فإنّ محاولة الحفاظ على علاقات مميزة مع كيان بات أكثر ممّا كان عليه في أي مرحلة سابقة، محمية أميركية، باعتراف الكثير من الخبراء والمحلّلين الصهاينة، ستبوء بالفشل حتماً، ولو بعد حين.

«نوستالجيا شنغهاي» لم تَعُد كافية

بكين - تل أبيب: لعب خشن

حسين إبراهيم

عندما تكون ثمّة مشكلة في العلاقات بين الصين وإسرائيل، يستحضر الإسرائيليون في صحافتهم مثل حيّ تيلانكياو في مدينة شنغهاي، الذي أوى إليه 20 ألف يهودي في ثلاثينيات القرن الماضي، بعدما هربوا من اضطهاد النازيين في ألمانيا والنمسا وبولندا. على أن ما جعل من الممكن لهؤلاء أن ينجوا بأرواحهم ويزدهروا في المدينة، هو أن تركيز اليابان كان على إبقاء الاحتلال للصين نفسها، وليس على اليهود، علماً أن التحالف بين اليابان وألمانيا في حينه، حدا بالقوات اليابانية إلى عزل اليهود في الطرفين في العقود الأخيرة.

> بكين تخشى من تضرّر مصالحها في حال سقوط الشرق الأوسط بكامله في القبضة الأميركية

المقصود من مثل هذه الروايات الإسرائيلية، هو التذكير بأن إسرائيل، كما الصين وروسيا، تقف في تحالف واحد تعود جذوره إلى ما بين الحربين العالميّتين الأولى والثانية؛ وأن لليهود فضلاً في النتيجة التي آلت إليها الحربان. ورغم أن العلاقات بين كلّ من بكين وموسكو، وبين الغرب، تحولت لاحقاً، إلى صراعية نتيجة اختلاف الأيديولوجيات والمصالح، فإن علاقات البلدَين مع إسرائيل، للمفارقة، لم تصبح كذلك، وإن شهدت تراجعاً، ثمّ عادت لتشهد حرارة بعد نهاية الحرب الباردة، حين انهار الاتحاد السوفياتي، وارتضت الصين بعلاقة عملية مع الولايات المتحدة صاغها هنري كيسنجر في بداية سبعينيات القرن الماضي، تقوم على جعل بكين التي كانت تعاني الفقر في حينه، شريكاً تجارياً رئيسياً لواشنطن، مقابل تحييدها عن أيّ تحالف معاد للغرب مع الكتلة الشرقية.

ظلّت الصين دوماً، في العقود الأخيرة، من الدول التي تبدي تعاطفاً مع القضية الفلسطينية، وتُصوّت لمصلحتها في مجلس الأمن، ولكنها كانت تعرف أن تأثير التصويت ليس أكثر من تأثير معنوي، باعتبار أن الفيتو الأميركي بدا جاهزاً دائماً لحماية إسرائيل ولذلك، فإن العلاقات الأعمق بين بكين وتل أبيب، ولا سيما في ما يتعلّق بالاستثمارات الصينية في الأخيرة، لا تتأثر بتلك السياسة العامة غير الفاعلة التي تنتهجها الأولى. الجديد الآن، هو أن ثمة لهجة إسرائيلية مختلفة مع الصين، بدأت تظهر في المنابر الإعلامية الإسرائيلية في الأشهر الماضية، مؤدّاها أن ثمة مخاوف أمنية إسرائيلية من أن بكين قد تستغلّ الاستثمارات المشار إليها، وهي من طبيعة يمكن أن تتحوّل إلى أمنية، ضد إسرائيل.

ويكمن منشأ الاحتجاج الإسرائيلي في ما تشتبه إسرائيل بأنه مساعدة صينية لأعدائها، عبر تزويدهم بتكنولوجيا الأسلحة التي أحدثت فارقاً في أماكن معيّنة كالميمن، أو يمكن أن تُحدث فارقاً في أيّ حرب مقبلة مع إيران.

وبخلاف المسألة الفلسطينية، تُعتبر البحار والمضائق التي يصل إليها الميمنيون حيوية جداً بالنسبة إلى الصين، نظراً إلى أن بضائع الأخيرة إلى الشرق الأوسط وأنحاء أخرى من العالم تمرّ عبرها، كما يُعبر منها معظم النفط المصدّر إلى «الجمهورية الشعبية» من الخليج. وإذا صحّت الاتّهامات الإسرائيلية، تكون بكين، بمفهوم العدو، قد تدخّلت عملياً ضدّ تل أبيب، بخلاف ما كانت عليه الحال طوال عقود الصراع العربي - الإسرائيلي، ولا سيما الأخيرة منه، حين أصبحت الصين تملك أسلحة يمكن أن تخلّ بميزان القوى لغير مصلحة إسرائيل، ولكنها امتنعت عن إمداد أعداء الأخيرة بها. ومع ذلك، كانت نفت سفارة بكين في تل أبيب، في كانون الثاني الماضي، تقريراً لموقع «i24news» الإسرائيلي نقل عن مصادر استخباراتية أميركية قولها إن الصين وفّرت مكوّنات وأجهزة توجيه لحركة «أنصار الله»، يمكن أن تُستخدم في صناعة الصواريخ الباليستية، بما يهدّد إسرائيل ودول الخليج، ووصفت التقرير بأنه «سيّئ النية».

على أيّ حال، يمثّل الحديث الإسرائيلي المستجدّ تغيّراً كبيراً في التعاطي مع الصين، التي كانت تُعاملها تل أبيب كشريك ذي قيمة عالية، وتتجنّب، بموجب ذلك التعامل، الانضمام إلى انتقادات الولايات المتحدة لها. وتُعتبر وكالة «جي إن أس» الإخبارية الأميركية التي تركّز على الأخبار الخاصة بإسرائيل، في هذا الإطار، أن التوازن في العلاقة الصينية - الإسرائيلية انهار بعد السابع من أكتوبر والحرب التي تلته، حين انتقلت الصين لتصبح «خصماً ظلّ» لإسرائيل، معترضة على قرارات في مجلس الأمن تدين حركة «حماس»، ومكرّرة الاتهامات لإسرائيل بـ«المعاقبة الجماعية للفلسطينيين»، والذهاب أبعد من مجرّد الدفاع عن النفس». وفي الآونة الأخيرة، ودائماً بحسب «جي أن أس»، تحدّث السفير الإسرائيلي في الولايات المتحدة عن مؤشرات مقلقة على دعم صيني لإيران، بتجاوز نقل تكنولوجيا عسكرية دفاعية إليها ليشمل حلفاءها في المنطقة، حيث وجد جيش الاحتلال بنادق وأسلحة مضادّة للدروع صينية في قطاع غزة، وصلت عبر قنوات تهريب إيرانية. كما إن واشنطن وضعت 15 شركة صينية على قائمتها السوداء، لاتهامها إياها بتوفير مكوّنات إلكترونية عسكرية استُخدمت من قِبل «حماس» و«أنصار الله».

ما لا جدال فيه أن إحكام الولايات المتحدة قبضتها على الشرق الأوسط، وفقاً لما تسعى إليه الآن، مضرّ بالمصالح الصينية، وخاصة في الممرات المائية الحيوية التي يمكن لواشنطن استخدامها للتضييق على بكين أو حتى قطع إمداداتها وطرق صادراتها إذا دعت الضرورة، وكذلك في الشراكات التجارية التي ستصبح للجانب الأميركي، في حال السيطرة الكاملة، قدرة أكبر على التحكّم فيها. هنا، يُقرأ لجوء الصين إلى نفي دعمها حلفاء إيران، على أنها تتعامل مع ذلك كتهمة، وليس كحق مشروع في تزويد حلفاء مفترضين بالأسلحة، ما يعني أن موقفها ما يزال متارجحاً، ويطرح سؤالاً عن المدى الذي يمكن أن تصل إليه الصين في تسليح أعداء إسرائيل، وما إذا كان يمكن أن يؤدّي الاحتجاج الإسرائيلي إلى تراجعها عن إسناد هؤلاء؛ علماً أن القسم المتعلّق بإيران من هذا الإسناد، يأتي نتيجة شكاوى إيرانية من عدم تزويد بكين، طهران، بما يمكّنها من الدفاع عن نفسها، في مواجهة الحروب التي شنّتها واشنطن وتل أبيب عليها، وتلك التي يمكن أن تشنّاها ضدّها في المستقبل.

تل ابيب تخشى تزويد الصين اعداءها باسلحة متطورة (عن الويب)

إيران في محور الشرق

ملامح شراكة... لا تحالف

طهران - محمد خواجوني

مع تسارع التحوّلات في ميزان القوى العالمي، تبرز المنطقة اليوم كمساحة لإعادة رسم الاصطفافات بين الشرق والغرب. وفي ظلّ المشهد المضطرب القائم، تبدو روسيا والصين أقرب إلى إيران من أيّ وقت مضى، فيما وجدت هذه الأخيرة نفسها، ولا سيما منذ انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي عام 2018 وعودة العقوبات عليها، أمام خيار يُلزمها «التوجّه شرقاً». وفتحت هذه السياسة الباب أمام اتفاقات تعاون إستراتيجي طويلة الأمد مع موسكو وبكين، وتُوّجت بانضمام طهران في مواجهة الغرب. وفي هذا السياق، ثمّة معطيات في طهران تتحدّث عن وصول شحنات من الصين تحتوي على وقود صلب للصواريخ ومعدّات صناعية متقدّمة، وأخرى تحتوي إمدادات روسية متنوّعة، ليس من بينها مقاتلات «سوخوي-35» التي كانت إيران بصدد الحصول عليها منذ سنوات، أو منظومة «إس-400» للدفاع الجوي. وإذا كانت أدوات الدعم الروسية والصينية مؤثّرة بالفعل، فإن استخدامها اتّسم بالحذر، خصوصاً وأن البلدَين لم يمنحا، طهران، أيّ ضمانات أمنية رسمية، فيما لم يُطرح أيّ إطار دفاعي ثلاثي أو التزام جماعي داخل منظومتَي «شنغهاي» أو «بريكس». والواقع أن أيّ دعم يظلّ مشروطاً بمبدأ المصلحة القومية؛ فما دام استقرار إيران وممرّات الطاقة والترانزيت الأوروآسيوي قائماً، يستمرّ الإسناد، أمّا إذا قرّرت طهران الانخراط في مواجهة مباشرة مع واشنطن، فسيتراجع هذا الزخم فوراً.

وينبع موقف موسكو وبكين تجاه المواجهة بين واشنطن وتل أبيب من جهة، وطهران من جهة ثانية، من التباينات العميقة في المنطق الجيوسياسي. فبالنسبة إلى الكرملين، مثّلت حرب حزيران علامة على انحسار الهيمنة الأميركية، وبداية تشكّل نظام دولي متعدّد الأقطاب. أما الصين، فتنظر إلى الأمر بعين الاقتصاد والطاقة؛ إذ أشار «مركز الدراسات الصيني لشؤون الخليج» إلى أن الهجوم الإسرائيلي على إيران أحدث فجوة في أمن الطاقة الإقليمي، بلغت 32%، ورفع أسعار النفط إلى 104 دولارات للبرميل. وعليه، ترى بكين أن استقرار طهران ليس خياراً سياسياً، بل ضرورة بنيوية لاستمرار مشروع «الحزام والطريق»، وتأمين طرق الطاقة إلى غرب الصين.

> بالنسبة إلى الكرملين، مثّلت حرب حزيران، علامة على انحسار الهيمنة الأميركية

وإلى جانب تداعيات حرب الـ12 يوماً، جاء تفعيل الترويكا الأوروبية (فرنسا، ألمانيا وبريطانيا) «آلية الزناد»، وما تبع ذلك من عودة للعقوبات الأممية في أيلول الماضي، ليضع علاقات إيران مع الشرق أمام اختبار جديد؛ علماً أن روسيا والصين سارعتا إلى إدانة الخطوة، ووصفتاها بأنها «انتهاك صريح» للقرار 2231 الصادر عن مجلس الأمن. وللتقليل من أثر العقوبات، فتحت موسكو أمام بكين بوابة مالية عبر نظام «SPFS» (النسخة الروسية من نظام «سويفت» الغربي)، لتمكينها من إدارة معاملاتها الدولية، فيما أعلن البنك المركزي الإيراني أن نحو 22% من التبادلات المالية مع روسيا، بما يعادل 3,2 مليارات دولار حتى تشرين الأول الماضي، تمّت عبر هذه القناة، وهو ما يؤسّس لنموذج جديد من التعاون المالي الأوراسي. أما الصين، فمضت في توسيع تجارتها النفطية مع إيران عبر منظومة الدفع العابرة للحدود («CIPS»)، وشركات وسيطة في هونغ كونغ وشنتشن. ووفقاً لبيانات مؤسسة «Refinitiv»، بلغ حجم التعاملات غير الدولارية بين البلدَين، في الربع الأول من العام الجاري، أكثر من 17 مليار دولار، 18% منها فقط بالدولار، ما يعكس تحوّلاً فعلياً نحو «إزالة الدولرة» من العلاقات المالية الثنائية.

في العمق، تنظر موسكو وبكين إلى طهران بوصفها ضحيّة نظام غربي أخذ في التآكل، لا سبباً في الأزمات. ومن منظور الصين، تمثّل العقوبات الغربية استمراراً لـ«سياسة كبح الاكتفاء الذاتي للشعوب المستقلّة»، وفقاً لما تصفه به أدبيات ما بعد الهيمنة في بكين. ومنذ حرب حزيران وعودة العقوبات الأممية، تبنّت روسيا والصين نهجاً مزدوجاً: فهما تريان في إيران ركيزة أساسية للتوازن الإستراتيجي في غرب آسيا، لكنهما، في الوقت ذاته، تتعاملان معها وفقاً لحسابات دقيقة تخضع مصالحهما طويلة الأمد؛ فهما ليستا حليفتَين مطلقتَين ولا مراقبتَين محايدتَين، بل شريكتان حذرتان، تسعيان إلى إبقاء إيران قوية من دون الانجرار إلى مواجهة مباشرة مع الغرب. واليوم، وبعد صيف ساخن، تبدو طهران وقد نَجحت - رغم العقوبات والضغوط - في تثبيت موقعها ضمن المعسكر الشرقي، لا عبر الاتكال المطلق، بل عبر إدارة ذكية للمصالح المشتركة، في حين تمثّل سياسة موسكو وبكين تجاهها نموذجاً جديداً من «الشراكة غير التحالفية»، التي تُبنى على المصالح والاستقرار لا على الالتزامات العسكرية.

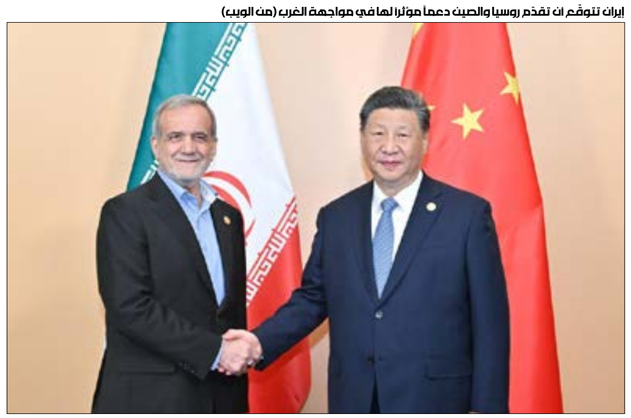

إيران تتوقع ان تقدم روسيا والصين دعما موثرا لها في مواجهة الغرب (عن الويب)

على الغلاف

ثلاث سنوات من «المدّ والجزر»
روسيا – إسرائيل: البرود (غير) المكتوم

ريم هاني

لا تزال روسيا، حتى اللحظة، تحاول انتهاج سياسة «الموازنة» في العلاقات مع دول الشرق الأوسط والكيان الإسرائيلي، لأسباب متعدّدة، من بينها وجود قناعة لدى بعض صنّاع السياسة الروس بأنه بالإمكان التعامل مع إسرائيل على أنها «لاعب إقليمي مستقلّ»، لا مجرّد «حليف» أو «تابع» للولايات المتحدة، فضلاً عن وجود «جالية» يهودية ضخمة ناطقة بالروسية، يقدّر عددها بمليون شخص، وتضمّ في صفوفها مجموعة كبيرة من الأوليغارشيين، الذين لا تخفى علاقاتهم بعالم السياسة والمال في إسرائيل. ويضاف إلى ما تقدّم، استمرار الحاجة إلى «التنسيق العسكري» كما هو الحال في سوريا، والعلاقات الاقتصادية والتكنولوجية القائمة بين الطرفين، طبقاً لما بيّنه الخبير والباحث الأول في «مركز دراسات الشرق الأوسط» التابع لـ«معهد بريماكوف الوطني لبحوث الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية» (IMEMO)، نيكولاي سوخوف، في حديثه إلى «الأخبار».

بيد أن روسيا، التي تجد نفسها على خطّ تماس في عدد من الصراعات في الشرق الأوسط وأوروبا، اصطدمت، في السنوات الماضية، بواقع أن فصل إسرائيل عن المنظومة الغربية، التي تشكّل الأولى جزءاً عضوياً منها، وعن النظام الدولي القائم الذي تقول موسكو إنها تسعى إلى استبداله، غير ممكن عملياً، ما أدى، في غير محطة، إلى خلق تصدّعات غير مسبوقة في العلاقات الروسية - الإسرائيلية، ولا سيما على ضوء حربي أوكرانيا وغزة، وإن كانت روسيا تسعى، باستمرار، إلى محاولة «احتواء» الأضرار. ويعدّ إحدى أبرز تلك المحطّات، إعلان وزارة العدل الروسية، عام 2022، نيّتها «حلّ الوكالة اليهودية» في روسيا، ورفعها دعوى قضائية ضدّها، بذريعة انتهاكها القوانين الروسية، عبر «جمع وتخزين ونقل بيانات عن المواطنين الروس» بشكل ينتهك خصوصياتهم، جنباً إلى جنب «تشجيع الهجرة إلى إسرائيل». وكانت المديرة التنفيذية للوكالة، أميرة أخرونوفيتش، قد اعتبرت، في وقت سابق، أن «أزمة اللاجئين اليهود الأوكرانيين هي الأكبر منذ الهولوكوست»، في حين عكست المواقف الروسية، وقتذاك، غضب موسكو من الدعم الإسرائيلي لكييف، ورغم ممطالة ممثّلي الوكالة في الدعوى المرفوعة ضدّها، يؤكد سوخوف أنه «تمّ بالفعل تقييد نشاطها إدارياً في روسيا منذ عام 2022»، ما جعلها تعمل تحت ضغط كبير وبنشاط محدود «بعدما استخدمت السلطات القضايا القانونية لإرسال إشارة سياسية إلى إسرائيل». ويَعدّ المصدر نفسه ما تقدّم مؤشّراً على وجود «تشققات في العلاقات، وإن كان لا يعني قطعاً كاملاً لها».

تصدعات غير مسبوقة في العلاقات الروسية - الإسرائيلية (من الويب)

وقبيل اندلاع أزمة الوكالة، كانت العلاقات الإسرائيلية - الروسية تشهد توترات عميقة على خلفية تصريحات وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، خلال لقاء مع جهة إعلامية إيطالية في الأول من أيار من عام 2022، حين اعتبر أن لـ«أدولف هتلر دماً نازياً أيضاً»، في إشارة إلى أن كون فولوديمير زيلينسكي يهودياً لا ينفي «وجود عناصر نازية في أوكرانيا». آنذاك، دان وزير الخارجية الإسرائيلي، يائير لابيد، تلك التعليقات، ووصفها بأنها «شنيعة ولا تُغتفر»، فيما أعادت وزارة الخارجية الروسية نشر تعليقات لأفروف على وسائل التواصل الاجتماعي، مؤكدة صحتها. وبعيداً من الحرب الأوكرانية – الروسية، تبدّت كل من روسيا والصين مواقف مناهضة لمشاريع قوانين قدّمتها الولايات المتحدة في الأمم المتحدة لوقف الحرب في غزة، مستخدمتَين حق النقض ضدّها، باعتبار أنها «منحازة» إلى إسرائيل، في حين تبنّت موسكو، في المقابل، صيغة بديلة تشدّد على وقف فوري وغير مشروط لإطلاق النار، ووصول أكبر للمساعدات الإنسانية.

ومع تمسّك موسكو، تاريخياً، ببند «الدولة الفلسطينية»، باعتباره الحلّ الوحيد لـ«تسوية القضية الفلسطينية»، أثارت مواقف حكومة بنيامين نتنياهو، منذ بدء الحرب على غزة، مخاوف المسؤولين الروس؛ إذ وصف لافروف، في وقت سابق مثلاً، التصريحات الإسرائيلية حول عدم «وجود مدنيين في غزة»، بـ«المخيفة»، لافتاً إلى أن غالبية العالم «أشارت إلى أن تصرفات إسرائيل تتعارض مع القانون الإنساني الدولي»، رغم حرصه على تجنّب وصفها بـ«الإرهاب» أو عدّها صورة من صور الإبادة الجماعية التي أجمع خبراء الأمم المتحدة على نيّة ارتكابها. بناءً على ما تقدّم، يرى الخبير الروسي نفسه أنه «بعد بدء الصراع في أوكرانيا وعمليات إسرائيل في غزة، أصبحت العلاقات بين تل أبيب وموسكو باردة وبراغماتية في الوقت عينه، إذ إن الثقة السياسية منخفضة، لكن قنوات الاتصال مستمرة».

وفيما يشير إلى أن «انتقاد إسرائيل ربطاً بملفّي فلسطين وسوريا بات جزءاً من الخطاب الروسي المناهض للغرب»، إلا أن الكرملين يحاول عدم الوصول إلى مرحلة «قطع العلاقات» مع الكيان، وموازنة مواقفه معه ومع إيران بالتوازي، وإن كان من غير الممكن لموسكو «تجاهل السياق العالمي» للتطورات، في إشارة إلى أن روسيا «غير قادرة على الفصل تماماً بين صراعها مع الغرب وعلاقتها مع إسرائيل، في وقت تعدّ فيه الأخيرة جزءاً من البلوك الغربي»، وتحديداً في ملفات من مثل أوكرانيا وإيران وسوريا.

الحرب المحتملة

على ضوء ما تقدّم، وفي خضمّ تصاعد التحذيرات من إمكانية استئناف إسرائيل لحروبها على مختلف الجبهات، بما في ذلك مع إيران، يرى مراقبون، من بينهم سوخوف، أنه «من غير المرجح أن تدخل روسيا في مواجهة عسكرية مباشرة، بل ستعتمد على الدبلوماسية وتهدئة التصعيد عبر الوساطة».

> **أصبحت العلاقات الإسرائيلية – الروسية «باردة» على ضوء حربي غزة وأوكرانيا**

في وقت تحاول فيه الحفاظ على قنوات الاتصال مع جميع الأطراف، بمن فيهم إيران وسوريا وإسرائيل و«حزب الله». وعليه، وفي حال تحقّق السيناريو المشار إليه، من المرجّح أن تعزّز موسكو الجهود الدبلوماسية عبر الأمم المتحدة والأطر الإقليمية، بما فيها «أستانا»، بهدف «منع تورط سوريا وإيران في حرب كبرى، والحفاظ على مصالح روسيا الإقليمية»، وتجنّب المواجهة المباشرة مع إسرائيل. ومن بين أبرز العوامل التي قد تحول دون تدخّل روسيا في أي حرب محتملة، كون معظم مواردها مركّزة حالياً في أوكرانيا، وهو ما كان قد دفعها، بالفعل، إلى الحدّ من صادراتها للأسلحة منذ بداية الحرب. وبالحديث عن إيران، تشير عدد من التحليلات إلى أن الحرب في أوكرانيا «غيّرت» طبيعة العلاقة بين روسيا وإيران بشكل جذري، وزادتها صلابة، خصوصاً مع تقديم طهران دعماً عسكرياً وتمويلاً لموسكو، ووجود «مصلحة مشتركة بينهما في تحدّي النظام العالمي الذي تقوده واشنطن، والسعي إلى تغييره»، وهو ما لا ينبغي للولايات المتحدة أن تتوقّع تغييراً فيه في المستقبل. ورغم أن التعاون الروسي – الإيراني في المجالات الدفاعية والاقتصادية والسياسية، لا يعكس «تطابقاً كاملاً» في المصالح، خصوصاً مع سعي كلّ طرف إلى نتائج مختلفة، إلا أنه لم يعد بالإمكان «الفصل» بين الدولتين.

التحوّل الشعبي

خلال زيارة إلى روسيا الصيف الماضي، أبدى أحد الخبراء البارزين الذين أتيحت لـ«الأخبار» فرصة إجراء نقاش معه، استغرابه من الممارسات الإسرائيلية في قطاع غزة، متسائلاً عمّا ترنو إليه إسرائيل بالضبط هناك، فكان الردّ عليه بأن هدف الكيان يتمثّل في احتلال قطاع غزة وتهجير سكانها، وفقاً للخطة نفسها المرسومة لسائر الأراضي الفلسطينية. آنذاك، قال الخبير إنه لو سمع مثل هذا «التحليل» قبل سنتين، لظنّ القائلين به «مجانين»، أمّا اليوم، فهو أصبح أكثر ميلاً إلى الاقتناع به. وعلى أيّ حال، ليس مستغرباً ألا يستثني التغيير الذي طرأ على الرأي العام في أنحاء العالم كافة إزاء الوحشية الإسرائيلية، الخبراء والمواطنين الروس. إذ ورد في تقرير نشره مركز «ليفادا» غير الحكومي الروسي، والرائد في مجال استطلاعات الرأي والأبحاث الاجتماعية، بعد سنة من بدء الحرب، أن غالبية الروس (59%) يعتقدون أن «إسرائيل تمادت، وأن أعمالها العسكرية غير مبرّرة». وأشار التقرير إلى أن نصف الروس (51%) أصبح لديهم موقف سيئ تجاه إسرائيل، بزيادة نسبتها 34% مقارنة بعام 2018، فيما ترتفع النسبة المشار إليها إلى 60% في أوساط السكان الذين تفوق أعمارهم الـ55 سنة. في المقابل، يقول 27% من المشاركين إن لديهم موقفاً إيجابياً من الكيان، بانخفاض نسبته 32%، مقارنة بعام 2018.

سوريا

يعمل الاحتلال على بناء قاعدة بيانات اجتماعية بشكله مباشر، عبر حواجز التفتيش (أ ف ب)

إسرائيل تروّض الجنوب بالاستبيانات
المساعدات بوّابةً للاحتلال المقنّع

دمشق - **الأخبار**

تكشف الوقائع الميدانية في جنوب سوريا، منذ سقوط النظام في 8 كانون الأول 2024، عن تغيّرات واضحة ومتسارعة في أنماط التدخل والسلوك العسكري والأمني الإسرائيلي؛ إذ لم يعُد هذا السلوك يكتفي بنمط الردع التقليدي الذي عملت إسرائيل على تكريسه بعد السقوط، بل تعدّاه إلى نمط التمركز الثابت الذي سيكون من شأنه تكريس الاحتلال غير المعلن. وفي حين تستكمل إسرائيل العمل في مشروع «صوفا 53»، الذي بدأ منذ عام 2022، وتعمل على توفير مسالك برية مرنة لإقامة نقاط التفتيش، وفرض واقع أمني جديد يوسّع الهامش العملياتي، بهدف إعادة رسم المشهد الحدودي تدريجياً، يبدو أن إستراتيجيتها تجمع أيضاً ما بين الأدوات «الخشنة» وتلك «الناعمة». وفي هذا الإطار، يعمل الاحتلال على بناء قاعدة بيانات اجتماعية بشكل مباشر، عبر حواجز التفتيش التي يقيمها جنوده في قرى القنيطرة، وينفّذون استبيانات عبرها. وبحسب معلومات حصلت عليها «الأخبار»، تتضمّن هذه الاستبيانات أسئلة ذات طابع اجتماعي عن عدد أفراد الأسرة، وحالتهم الصحية والمادية، وأعمالهم الحالية والسابقة، ومؤهلاتهم العلمية، واحتياجاتهم الأساسية والغذائية، جنباً إلى جنب مدى تأييدهم للسلطات الجديدة.

ويقول أحد أهالي قرية العشا في ريف القنيطرة الجنوبي، لـ«الأخبار»، إن النشاط الإسرائيلي يظهر «دقّة» في جمع البيانات عن الأهالي، والتي لا تقتصر على معرفة الحاجات فقط، بل تمتدّ إلى النفاذ إلى معلومات عن الأشخاص، وخصوصاً البالغين منهم»، مشيراً إلى أن قوات الاحتلال «صوّرت هويات البالغين باستخدام لوحات إلكترونية متطوّرة، وبرّرت عملها بأنه يهدف إلى إنشاء جداول إحصائية لتوزيع مساعدات عينية». محاولةُ الإيحاء بأنها لا تسعى إلى تكرار سيناريو قرية حضر، «التي تحصل على مساعدات نقدية تصل إلى 450 دولاراً شهرياً، ويتمّ فيها جمع استبيانات بهدف التمهيد لعمليات استقطاب وتجنيد في الداخل المحتلّ». ويوضح المصدر نفسه أن «حركة جمع الاستبيانات تتركّز في المناطق التي باتت تشكّل حيّزاً مرناً لتحركات قوات الاحتلال، ولا سيما الحميدية والقحطانية ورسم الرواضي ورسم البيضاء، ورسم أبو شبطة، بينما في مناطق أخرى، كبئر عجم والأصبح، يبدو الواقع مختلفاً»، إذ رغم محاولة العدو «جذب» الأهالي هناك تمهيداً لجمع الاستبيانات منهم، خصوصاً عبر إغرائهم بتوزيع المساعدات، فإن هؤلاء يؤكدون رفضهم القاطع الانجرار إلى هذا الفخّ، باعتبار أنّه «لا يمكن أن نقبل بتطبيع ووجود الاحتلال بيننا».

في السياق نفسه، كشفت مصادر خاصة، لـ«الأخبار»، أن قوات العدو عمدت، الثلاثاء، إلى توزيع 50 ليتراً من المازوت للعائلة الواحدة في قرية الحميدية، علماً أن هذه الممارسات ليست الأولى من نوعها؛ إذ كانت إسرائيل قد وزّعت المادة نفسها على عدد من العائلات في الشتاء، الذي أعقب سقوط النظام، محاولةً، في الوقت عينه، دفع المجتمع إلى التطبيع مع المساعدات الغذائية التي تجلبها كل 30 يوماً، وهي مدّة أقصر من الـ40 يوماً التي تحتاجها المساعدات التي يقدّمها «الصليب الأحمر» للوصول إليهم. على أن الانتهاكات الإسرائيلية، التي أدّت إلى خنق تدفّق البضائع وتعطيل حركة الزراعة - المورد الأساسي للعيش في قرى جنوب سوريا حتى حوض اليرموك -، والمقرونة بغياب أي استجابة واضحة من السلطات الجديدة لاحتواء التضخم والتقليل من الفوارق الاقتصادية، هي التي أسهمت، عملياً، في خلق تفاوت شاسع في قيمة المواد الغذائية، وتردٍّ في الواقع الاقتصادي، وسهّلت بالتالي لإسرائيل استغلال الاحتياجات المادية لـ«تفكيك المجتمع» في الجنوب، طبقاً لما يؤكده أحد المصادر في حديث إلى «الأخبار».

> **أسهمت الانتهاكات الإسرائيلية في تردي الأوضاع الاقتصادية جنوبي البلاد**

ويشير المصدر أيضاً إلى أن إسرائيل تسعى كذلك إلى تعزيز الانقسامات في الداخل السوري؛ وهو ما دلّ عليه، مثلاً، سماحها لبعض الأهالي الذين قدموا من قرية خضر الدرزية، بقطع أشجار من محميّة جباثا الخشب وأخذها معهم. كما أنها تحاول تمويه «نشاطها المدني» عبر العمل العسكري، على غرار ما حدث في قرية عين القاضي الشهر الماضي، حيث وزّعت سلالاً غذائية، مستغلّةً حركة الدبابات للفت النظر عن عملية التوزيع، قبل أن يرفض الأهالي السلال ويحرقوها، بحسب المصدر نفسه، الذي يردف أنه مع هذا، لا يخفي الأهالي آمالهم في ألّا يتحول الغلاء، وتباين الأسعار «إلى حالة دائمة تخلق تآكلاً اقتصادياً يفكّك البنية الاجتماعية، ويفاقم شعورهم بعدم الأمان».

مقابلة | أجرتها **لينا بعلبكي**

المؤرّخ والمفكّر الهندي - الأميركي
فيجاي براشاد

- اليمين الهندي بنى علاقات براغماتية وبرنامجيّة مع إسرائيل
- الطبقة الرأسمالية الهندية متواطئة مع الإبادة الجماعية

تحت ضغط التحوّلات العميقة في آسيا، وصعود يمين قومي يعيد رسم صورة الهند، تتصدّر علاقة نيودلهي بتل أبيب واجهة النقاش في العالمَين العربي والأسيوي، فمن بلد حَمَل لعقود راية الدفاع عن فلسطين، إلى شريك وثيق في الصناعات العسكرية الإسرائيلية، تبدو الهند اليوم نموذجاً لانتقال استراتيجي لا يمكن فهمه بمعزل عن سياسات الولايات المتحدة، وصعود حزب «بهاراتيا جاناتا» - الذي ينتمي إليه رئيس الوزراء الهندي ناريندا مودي -، والتشابك بين رأس المال الهندي والمنظومة الأمنية الإسرائيلية. في هذا الحوار مع «الأخبار»، يفنّد المؤرّخ الهندي - الأميركي والمفكّر الماركسي - اللبناني، مدير «معهد الأمميات الثلاث» للبحوث الاجتماعية فيجاي براشاد، جذور هذا التحوّل وتداعياته.

■ شكّلت الهند، تاريخياً، أحد أبرز الداعمين للقضية الفلسطينية. ما هي العوامل السياسية والأيديولوجية التي قادت إلى التحوّل الجذري في موقفها من إسرائيل؟ وكيف ينعكس هذا التحوّل على توجّهات سياستها الخارجية اليوم؟

ارتبطت الهند بعلاقة قوية جداً مع فلسطين منذ ثلاثينيات القرن الماضي، وقد تعمّقت صلاتها بالفلسطينيين بعد عام 1964، مع تأسيس «منظمة التحرير الفلسطينية»، وكان فصيل ياسر عرفات داخل المنظمة – حركة «فتح» – هو الذي جاء، إلى نيودلهي عام 1969 وأقنع رئيسة الوزراء، إنديرا غاندي، بالسماح لهم بفتح مكتب في الهند. وعام 1975، اعترفت الحكومة الهندية بـ«منظمة التحرير» ممثّلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني، لتكون أول دولة غير عربية تتخذ موقفاً حاسماً كهذا. وفي عام 1980، رفعت الحكومة الهندية مستوى ذلك المكتب إلى سفارة.

في تلك الحقبة، التي مثّلت ذروة تضامن دول العالم الثالث، شاركت الهند في رعاية قرارات في الجمعية العامة للأمم المتحدة، تسمح لـ«منظمة التحرير» بالمشاركة في المداولات حول فلسطين في الأمم المتحدة (1974). واعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية (1975). وقد بدا ذلك الموقف مرتبطاً تماماً بمناهضة الهند للاستعمار، لكنه بدأ يتداعى مع مواجهتها أزمات ديون خطيرة في ثمانينيات القرن الماضي.

وفي أوائل التسعينيات، حين بدأت تفكّر في كيفية توجيه سياستها، خصوصاً بعد تفكّك الاتحاد السوفياتي، ودخولها في برنامج قروض من «صندوق النقد الدولي»، كان الجواب الواضح هو السعي لبناء علاقة جديدة مع الولايات المتحدة. وآنذاك، قال المسؤولون الأميركيون بصراحة لنظرائهم الهنود، إن «الطريق إلى واشنطن يجب أن يمرّ عبر تل أبيب»، وهو ما قيل لي بوضوح من قِبل مسؤولين في دلهي بعد سنوات قليلة.

على أن الخطوة الأولى، في إطار التقارب مع واشنطن، اتّخذها «حزب المؤتمر الهندي» (INC) ذو التوجّه الوسطي - اليميني، وذلك بدوافع براغماتية. وفي عام 1996، وصل «حزب بهاراتيا جاناتا» (BJP) اليميني إلى السلطة لفترة قصيرة، وبعد ذلك بعدة سنوات، قام الحزب بتعزيز العلاقات مع إسرائيل. وكان هذا بدافع أكثر «برنامجية»، لأن «بهاراتيا جاناتا» يشترك مع المؤسسة السياسية الإسرائيلية في توجّه عام معادٍ للمسلمين، وفي رؤية مؤيّدة للولايات المتحدة تجاه العالم. وبالتالي، منذ أوائل التسعينيات، بنى التيار الوسطي - اليميني والتيار اليميني في الهند علاقات مع الإسرائيليين لأسباب براغماتية وبرنامجيّة، وهو ما لا يزال ينعكس على التوجهات الخارجية حتى اليوم.

> ■ يشهد التعاون العسكري والاستخباراتي بين الهند وإسرائيل توسّعاً لافتاً، يشمل مجالات متقدّمة في تقنيات المراقبة والأمن السيبراني والزراعة والمدن الذكية. كيف تقيّمون هذا المسار، وما الذي يمثّله بالنسبة إلى كلا الطرفين؟

اختبرت الهند الأسلحة النووية للمرة الثانية في عام 1998، وهو ما دفع الكونغرس الأميركي إلى فرض حظر على تسليم أنواع معيّنة من الأسلحة إليها. كانت الهند قد بدأت تعتمد على الأسلحة الأميركية لأنها لم تتمكّن من الحصول على الأسلحة الروسية – التي اشترتها سابقاً –، بفعل ما لحق بقطاع الصناعات العسكرية الروسية من أضرار خلال العقد الذي أعقب تفكّك الاتحاد السوفياتي. لذلك، بدأت الهند في استيراد أسلحة من إسرائيل، التي تُنتج في الأساس أسلحة أميركية في مشاريع مشتركة مع شركات أميركية. هذا هو السبب في نمو تجارة الأسلحة، ومن هناك توسّعت التجارة في مجالات أخرى.

على مدى العامين الماضيين، ظهرت تقارير إخبارية متفرّقة حول استمرار العلاقة العسكرية بين الهند وإسرائيل. نشرت «قناة الجزيرة» تقارير استناداً إلى وثائق اطّلع عليها صحافيوها حول آخر شحنات الأسلحة، ولكن إلى جانب ذلك، لم تكن هناك أي دراسة كبرى حول التواطؤ الهندي في الإبادة الجماعية. وفي أيلول 2025، نشر «مركز المُسابلة المالية» تقريراً للمؤلّفة والباحثة هاجيرا بوتيغا، بعنوان «الربح والإبادة الجماعية: الاستثمارات الهندية في إسرائيل»، الذي أظهر بالتفصيل تواطؤ الطبقة المليارديرية الهندية وشركاتها في الإبادة الجماعية.

مثلاً، تنتج شركة Adani-Elbit Advanced Systems India, Ltd طائرة «هيرمس 900» المُسيّرة، التي استُخدمت في غزة، وتمتلك «أداني للموانئ» ميناء حيفا، وبالتالي فهي مالكة منشأة للبحرية الإسرائيلية ترسو فيها غواصات إسرائيل. أمّا «مجموعة تاتا للاستشارات» فتعمل على نظام «نيمبوس» الذي يتيح المراقبة والاستهداف للفلسطينيين في غزة، كما باعت Tata Consultancy Group، لإسرائيل مركبات «Land Rover» التي حوّلها الجيش الإسرائيلي إلى مركبة «MDT David» المُدرّعة التي يستخدمها في الدوريات في الضفة الغربية وغزة.

أمّا شركة «Reliance Jio Infocomm Limited» التي يملكها موكيش أمباني، فتعمل بشكل وثيق مع شركات رقمية إسرائيلية لبناء البنية التحتية الرقمية لإسرائيل، بينما تعمل «Reliance Defence Limited» مع شركة «Rafael Advanced Defence Systems» لصنع أنظمة صواريخ وطائرات مُسيّرة للجيش الإسرائيلي. وإلى جانب ذلك، تعمل شركة «Jain Irrigation Systems Limited» عبر شركة «NaanDanJain» الإسرائيلية، على تزويد وبناء أنظمة ريّ في المستوطنات الإسرائيلية غير القانونية في الضفة الغربية المحتلّة.

> **القوى التقدّمية ضعيفة وقاصرة عن تحدّي «بهاراتيا جاناتا»**

يوفّر كلّ ما تقدّم أدلّة وبيانات تُظهر أن قطاعات قوية ونافذة من الطبقة الرأسمالية الهندية، متواطئة مباشرة في الإبادة الجماعية.

■ أثار الموقف الهندي من العدوان الإسرائيلي على غزة جدلاً في الداخل الهندي، ترافق مع تحركات شعبية رافضة لهذا الموقف. هل ثمة انقسام سياسي بالفعل حول النهج المُتّبَع حيال إسرائيل؟ وهل توجد قوى أو كتل وازنة يمكن أن تُحدث توازناً أو تغييراً في الاتجاه الرسمي؟

من المثير للاهتمام أن الحكومة الهندية لم تستطع أن تعلن دعمها الصريح لإسرائيل خلال هذه الإبادة الجماعية. ويرتبط ذلك جزئياً بروابط الهند القديمة والمهمّة مع الدول العربية (التي تشتري منها الهند النفط)، وجزئياً بالمعارضة الداخلية في الهند، وجزئياً بالموقف المشترك داخل تكتّل «بريكس»، وجزئياً أيضاً ببشاعة الإبادة الجماعية. وقد حافظت الهند على موقفها القائل بأنها تؤمن بحلّ الدولتين، واستخدمت هذا الموقف للدفع بأن إسرائيل يجب ألّا تضمّ الأراضي الفلسطينية المحتلّة. وهذا لا يعني أن الهند تبنّت موقفاً تقدّمياً، بل يعني ببساطة أن الحكومة لم تستطع أن تخرج وتدعم تنياهو بشكل كامل. ومع ذلك، فقد أدّى موقفها الهزيل إلى ولادة تحدٍّ جدّي داخلها من قِبل اليسار وقوى أخرى وقفت إلى جانب الفلسطينيين، وهو ما خلق انقساماً، لكن من دون أيّ تداعيات انتخابية سلبية على حزب «بهاراتيا جاناتا» (الذي يقود الائتلاف الحاكم في البلاد، ويُعرف بأيديولوجيته القومية الهندوسية اليمينية).

■ إلى أيّ حدّ أسهمت الولايات المتحدة في ترسيخ التحالف بين الهند وإسرائيل، ضمن استراتيجيتها في «الهند - المحيط الهادئ»، ومساعيها لاحتواء الصين؟

في الواقع، فشل السعي الأميركي لعدم الدخول في حرب باردة مع الصين وروسيا، في توليد مجموعة مواقف موثوقة من جانب الهند. فقد رفضت الهند التوقّف عن شراء النفط من روسيا لأسباب اقتصادية بحتة، وبالتالي لم تتمكّن من منع رسوم ترامب الجمركية. كما أنها لم تكن نشطة جداً في استراتيجية «المحيطَين الهندي والهادئ» الهادفة إلى عزل الصين واحتوائها. إذ زار مودي الصين للمرة الأولى منذ ما يقرب من عقد. أشكّ في أن لهذا الأمر أيّ تأثير على العلاقات بين الهند وإسرائيل في هذا الوقت.

«بهاراتيا جاناتا» على السلطة.

وكانت عدة منظمات شعبية كبرى في الهند قد أعلنت دعمها لـ«حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات» (BDS) - إحدى أكثر الحملات فعّالية ضد إسرائيل في السنوات الأخيرة -، بما في ذلك «جمعية المزارعين في عموم الهند» التي تضمّ ستة عشر مليون عضو (عام 2017)، و«اتحاد طلاب الهند» الذي يضم خمسة ملايين عضو (عام 2018)، ويشمل قطاعاً كبيراً من السكان المسلمين البالغ عددهم 120 مليوناً، والذين يرون ما يعانيه الفلسطينيون اعتداءً على المسلمين كمسلمين (سواء كان هذا التقييم دقيقاً أم لا). ويلعب المسلمون دوراً أيضاً في بعض الولايات الأساسية، رغم عدم وجود أي دليل على أن التصويت الكتلي للمسلمين يمكن أن يؤثّر في شكل البرلمان الهندي.

■ «إلى أيّ حدّ أسهمت الولايات المتحدة في ترسيخ التحالف بين الهند وإسرائيل، ضمن استراتيجيتها في «الهند - المحيط الهادئ»، ومساعيها لاحتواء الصين؟

في الواقع، فشل السعي الأميركي لعدم الدخول في حرب باردة مع الصين وروسيا، في توليد مجموعة مواقف موثوقة من جانب الهند. فقد رفضت الهند التوقّف عن شراء النفط من روسيا لأسباب اقتصادية بحتة، وبالتالي لم تتمكّن من منع رسوم ترامب الجمركية. كما أنها لم تكن نشطة جداً في استراتيجية «المحيطَين الهندي والهادئ» الهادفة إلى عزل الصين واحتوائها. إذ زار مودي الصين للمرة الأولى منذ ما يقرب من عقد. أشكّ في أن لهذا الأمر أيّ تأثير على العلاقات بين الهند وإسرائيل في هذا الوقت.

سوريا

إسرائيل تطنّش عروض الشرع: لا تراجع عن «المنطقة العازلة»

عامر علي

استبق رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، نتائج زيارة الرئيس السوري في المرحلة الانتقالية، أحمد الشرع، إلى الولايات المتحدة ولقائه الرئيس الأميركي دونالد ترامب، بالإعلان عن تمسّكه بشروطه السابقة، المتعلّقة بإقامة منطقة منزوعة السلاح في الجنوب السوري، و«حماية الدروز»، مبرّراً ذلك بـ«عدم ثقته» بالشرع، الذي قال إن تقييمه يكون بناءً على ما يقدّمه لإسرائيل، ومدى امتثاله لما تريده. وفي لقاء مع الإعلامية الأسترالية إيرين مولان، ضمن برنامجها الذي يحمل اسمها، اعتبر نتنياهو أن الحُكم على الشرع لا يكون من خلال الصور أو التصريحات، بل من خلال ما يفعله «على الأرض»، متسائلاً: «هل ستصبح سوريا بلداً آمناً؟ هل سيقضي على الجهاديين في جيشه؟ وهل سيتعاون معي لتحقيق منطقة منزوعة السلاح في جنوب غرب سوريا المتاخمة لمرتفعات الجولان؟». كذلك، وعلى عادته في التضليل والخلط، أشار إلى أن «الدروز السوريين تعرّضوا للتعذيب والذبح بشكل يكاد يكون بدرجة سوء ما حدث في السابع من أكتوبر 2023»، مشترطاً للمضيّ قدماً «نزع السلاح من جنوب غرب سوريا، وتوفير الحماية الدائمة للدروز هناك».

تبدي واشنطن استعجالاً لتوقيع الاتفاق (أ ف ب)

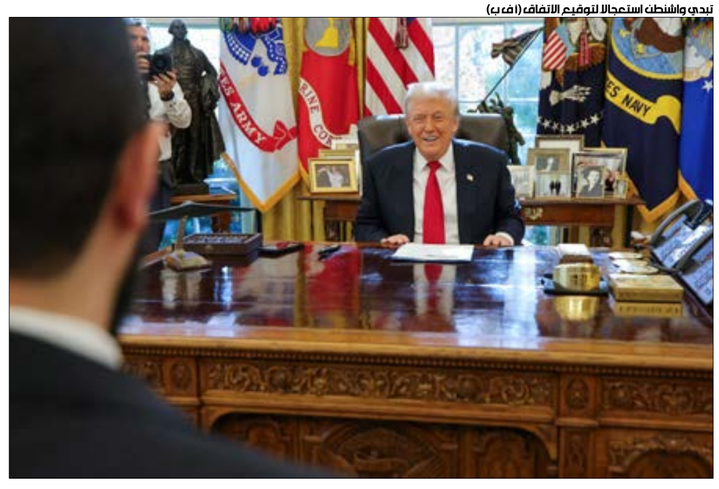

اشترط نتنياهو للمضيّ قدماً نزع السلاح من جنوب غرب سوريا، وتوفير الحماية الدائمة للدروز

وجاءت تصريحات نتنياهو متزامنة مع إعلان المبعوث الأميركي الخاص إلى سوريا، توم برّاك، عبر حسابه في موقع «إكس»، أن الشرع وترامب لديهما قناعة مشتركة بأن الوقت قد حان لاستبدال القطيعة بالتواصل، وأن «الجلسة الثلاثية التي جمعت وزراء خارجية كل من أميركا ماركو روبيو، وتركيا حاقان فيدان، وسوريا أسعد الشيباني (على هامش زيارة الشرع إلى واشنطن قبل أيام)، رسمت المرحلة التالية من الإطار الأميركي - التركي - السوري». وأشار برّاك إلى أنه تمّ الاتفاق على «دمج قوات سوريا الديمقراطية (قسد) في الهيكل الاقتصادي والدفاعي والمدني السوري الجديد، وإعادة تعريف العلاقات التركية - السورية - الإسرائيلية»، مضيفاً أن الشرع قدّم لترامب «التزاماً صريحاً بشمل دوراً فعّالاً لدمشق في مواجهة وتفكيك بقايا تنظيم داعش، وفيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، وحركة حماس، وحزب الله، وشبكات أخرى»، معتبراً أن «هذا الالتزام يُجسّد انتقال سوريا من دولة تُعدّ مصدراً للإرهاب إلى شريك فاعل في مكافحته».

ومن الولايات المتحدة، حيث كانت له لقاءات عديدة مع مسؤولين ووسائل إعلام، أكّد الشرع استعداده لتوقيع اتفاق أمني مع إسرائيل و«ضمان أمنها»، مشيراً إلى أن نظام الرئيس السابق بشار الأسد وحلفاءه كانوا مسؤولين عن الوضع السابق، وأنه هو من قام بقتالهم وطردهم من سوريا. كذلك، قال وزير الخارجية السوري، خلال جلسة حوارية في معهد «تشاتام هاوس» في لندن، إن «إسرائيل تلعب حالياً دوراً سلبيّاً في سوريا، وهي غير راضية عن التغيير»، إذ «تواصل انتهاكاتها في الداخل السوري، ولكنّنا لم ننجرّ للاستفزاز وحاولنا الردّ بالدبلوماسية»، متابعاً أن إدارته تعمل على «إعادة بناء سوريا، وننظر إلى أيّ اتفاق محتمل مع إسرائيل في هذا الإطار». واعتبر أن «على إسرائيل إدراك أن مصلحتها تقتضي عدم التدخّل في سوريا».

وعلى ما يبدو، تستند التصريحات السورية المتواترة، وما تشمله من موقف منفتح حيال توقيع اتفاق أمني مع إسرائيل، بمعزل عن شروط الأخيرة المتمثّلة في إقامة منطقة منزوعة السلاح، وفتح طريق نحو السويداء التي باتت تحت حكم إدارة ذاتية درزية، إلى الحراك الأميركي العسكري والسياسي المُستجدّ في الملف السوري، خصوصاً منه بدء الولايات المتحدة تجهيز قاعدة عسكرية جوّية لها على تخوم دمشق الجنوبية، لتلعب دور الضامن لأمن إسرائيل، من خلال مراقبة الاتفاق الأمني المُزمع توقيعه قبل نهاية العام الجاري. وفيما تبدي واشنطن استعجالاً لتوقيع الاتفاق، فهي تسعى أيضاً إلى تحقيق اختراق في ملفات أخرى، من بينها ملف دمج «قسد»، خصوصاً بعدما أصبح الشرع شريكاً رسمياً في التحالف ضدّ «داعش».

وتُظهر تصريحات المبعوث الأميركي تفاؤلاً بالتوصّل إلى صفقة سورية - إسرائيلية قريباً، خصوصاً بعد إشراك تركيا في مسارها، إلا أن تحقّق هذا الأمر يبقى مرهوناً بموقف إسرائيل نفسها، التي كانت أفشلت إنجازه في أيلول الماضي، وما زالت متمسّكة بسقف بالغ الارتفاع.

لم يكن الفجر قد اكتمل أمس، حين انهمرت الأمطار بغزارة على قطاع غزة، لتتحوّل مئات الخيام المنتشرة في أنحاء القطاع، إلى برك ماء أغرقت ما تبقّى للنازحين من فرش وثياب وأدوية وأوراق شخصية، فيما تحوّلت الأرضيات الرملية إلى طين كثيف تسبّب بوقوع إصابات. (أ ف ب)

كلمات متقاطعة 4958

أفقيا

1- إعلامي لبناني – 2- مدينة أميركية عاصمة ولاية أركنساس – للمساحة – 3- جبال أوروبية – مياه مجمدة – 4- أمدّ – مدينة فلسطينية حاصرها نابليون بونابرت – 5- غرسهم – نهر فرنسي – 6- للذفي – ضد أبعدا – 7- أهازيج أصوات النساء في الفرح – يصيح التيس – 8- من الأشجار – سلام وطمأنينة – أنت بالأجنبية – 9- نعم بالأجنبية – سقطات وزلات في الكتابة – 10- محيط يُعرف بالأوقيانوس الكبير

عمودياً

1- فنان لبناني من أغانيه « طل الجيش » – 2- مقياس بحري – مدينة إيطالية في صقلية – 3- كل من آمن بنبيّ وتبعه في حياته وبعد مماته – صوّت الرصاص – 4- أوما – من الأفاويه مطيّب للأطعمة – طلع النجم – 5- مدينة في بلجيكا بضاحية أنفرس – من أقدم مدن فلسطين التاريخية – 6- خصب – بطل أسطوري فينيقي – 7- أقام في المكان – طعم الحنظل – آلة موسيقية – 8- ريقي – يصق – 9- مواطن أوروبي – 10- من الأحجار الكريمة – ماركة سيارات

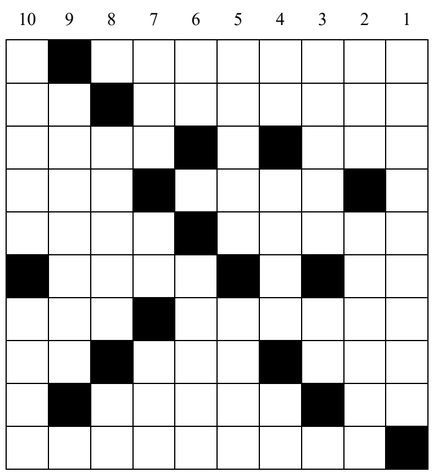

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- الدومنيكان – 2- سانتوس – الب – 3- ورق – هرميّ – 4- أم – غربال – 5- مالي – أبواب – 6- أفاته – يسير – 7- بين – ويل – اي – 8- 11 – يدقّ – سر – 9- الدفاع – 10- البازورية

عمودياً

1- اسلام آباد – 2- لا – مافيا – 3- دنو – لان – ال – 4- وترغيت – يلب – 5- موقرّ – هوندا – 6- نسّ – با – يقفز – 7- هابيل – او – 8- كارلوس – سعر – 9- الم – أيار – 10- نبيه بري – ة ة

sudoku 4958

		1	2				9
		7	4	1	9		6
		3	8				2
	8			2	4	5	
	1					6	
	2		1	6		4	
1	7					8	3
6			5	3		1	
5				9		6	

حلول الشبكة السابقة

8	9	3	7	6	1	2	4	5
5	2	6	4	3	8	7	9	1
7	4	1	5	2	9	8	6	3
2	5	7	1	8	4	6	3	9
3	8	9	2	5	6	4	1	7
1	6	4	9	7	3	5	8	2
4	1	5	8	9	2	3	7	6
9	3	2	6	4	7	1	5	8
6	7	8	3	1	5	9	2	4

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

كلمة السر 255

كلمة السر من 7 حروف: صوت الطبل

اللغط – از – تهليل – جلبة – حشرجة – حفيف – خرير – خفق – دبيب – دوي – رعد – زغاريد – صرير – صيحة – ضجب – صدى – صوت – ضجيج – ضحك – عويل – فرقعة – نبض – نقر – هتف – هدر

ز	غ	ا	ر	ي	د	ا	ت	ل	ة
ل	ب	ي	ب	د	ض	و	ي	ا	ج
ص	ي	ح	ة	ح	ص	و	ح	ل	ر
ض	ب	ن	ك	ب	ع	د	ف	ل	ش
ف	ر	ة	ر	خ	ر	ل	ي	غ	ح
ر	ي	ص	ب	ص	ق	ي	ف	ط	د
ق	ر	ا	ر	ل	ن	ل	ه	ت	ف
ع	خ	د	د	ي	ج	ه	ى	د	ص
ة	و	ع	ز	ر	ر	ث	خ	ف	ق
ي	ر	ا	ض	ج	ي	ج	ر	د	ه

حلول الشبكة السابقة: انستغرام

عملية حسابية 255

شروط اللعبة: ضع الارقام المناسبة من 1 الى 99 في المربعات الفارغة للوصول الى حل العملية الحسابية

84	٪		X		=	70
٪	■	X	■	X	■	
	X		+		=	31
X	■	–	■	٪	■	
	X		X	2	=	18
=	■	=	■	=		
84		39		25		

حلول الشبكة السابقة

5	X	7	٪	35	=	1
X	■	X	■	X	■	
18	÷	8	٪	2	=	13
٪	■	٪	–	■		
6	X	4	X	4	=	96
=	■	=	■	=		
15		14	■	66		

شبكة العنكبوت 255

إعداد نعوم مسعود

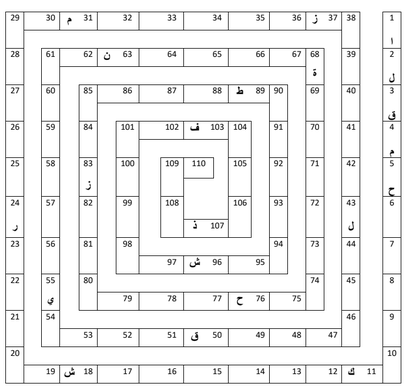

1 – 5 الحنطة
4 – 14 ملاكم اميركي راحل من اشهرهم على الاطلاق
13 – 21 لاعب كرة سلة لبناني محترف سابق
20 – 31 كتاب مشهور لإبن سيرين
29 – 37 النشيد الوطني للجمهورية الفرنسية
37 – 43 اغنية للفنانة اللبنانية الراحلة صباح
42 – 55 عاشر السلاطين العثمانيين بلغت الدولة في عهده اقصى اتساع
54 – 59 ولاية اميركية عاصمتها كارسون سيتي
58 – 63 مدينة اوستراليه عاصمة الإقليم الشمالي
63 – 76 احدى مسرحيات الاخوين رحباني
76 – 85 اغنية للسيدة ام كلثوم
84 – 89 مدينة مصرية
89 – 93 عاصمة ايران
93 – 96 زخارف محفورة على حجر او خشب او معدن
96 – 99 خلاف غربي
98 – 101 لقب حاكم عظيم عند ملوك الرومان
100 – 104 بلدة لبنانية في قضاء صور
104 – 110 من مؤلفات الأديب اللبناني الراحل توفيق يوسف عواد

حل شبكة العنكبوت السابقة

سان لو – لوتشيانو بافاروتي – تبس الجبل – بليل – بلهارسيا – يا ناس الدني دولاب – ابو الطيب المتنبي – بيلاروسيا – يافع – غرفات حجازي – زياد برجي – جبلا – المغرب – رئاع – اعصار – ارميتاج – جورج بوش – وشاية

شروط اللعبة

شبكة العنكبوت تتألف من 110 خانات مرقمّة وداخل بعض الخانات تتواجد أحرف تساهم في تسهيل الحل بعد الإجابة على الأسئلة الموجودة أسفل الشبكة. الشبكة تعمل مثل عقارب الساعة إبتداءً من الرقم 1 الى الرقم 110

مشاهير 4958

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

كاتب وإعلامي مصري (1933-2001). عمل في وكالة الأنباء الفرنسية

2+4+6+2+1 = خلاف الجوع ■ 3+7+5+11+7 = إسم لشهر تموز ■ 9+10 = خبز يابس

حل الشبكة الماضية: **روبرت كينيدي**

تحقيق

أعداد محدودة تقدم لاعبين إلى المنتخبات
الأكاديميات التجارية «تغزو» السوق اللبناني

هو عالم قائم بحد ذاته... رديف لعالم كرة القدم، علماً أنه يجب أن يكون جزءاً مكملاً له. هو عالم الأكاديميات الكروية في لبنان. قلّة منها يصح إطلاق هذا الاسم عليها، والأكثرية الساحقة مشاريع تجارية تسعى وراء الربح. أما حجم المال المتداول في هذا القطاع فهو كبير جدّاً

هناك بعض الأكاديميات المحترمة التي تخرّج لاعبين للمنتخبات الوطنية (طلال سلمان)

عبد القادر سعد

مفهوم الأكاديميات الكروية ليس بجديد على عالم كرة القدم. عالمياً نعود جذوره إلى منتصف القرن الماضي، لكنه لم يكن بالشكل الحالي.

في لبنان، شاع في السنوات الخمس عشرة الأخيرة مصطلح أكاديميّة. هو مصطلح برّاق جاذب يغلب عليه الطابع العلمي، وبالتالي فهو مغرٍ لمن يحب كرة القدم أو يرغب في أنْ يؤسس ولده بطريقة صحيحة على الصعيد الكروي.

لكن في لبنان مفهوم الأكاديمية خاطئ.

يشرح المدير الفني السابق في الاتحاد اللبناني لكرة القدم، والمحاضر الدولي باسم محمد هذا المفهوم على الصعيد الدولي. وفي حديث مع «الأخبار» يقول: «يعتبر أي لاعب كرة قدم تحت عمر الثمانية عشر عاماً هو لاعب أكاديمي. من الواعدين وحتى الشباب. كل من يزاول كرة القدم هو لاعب أكاديمي من عمر الست سنوات وحتى عمر 18 سنة».

ويضيف: «في لبنان هناك نوعان من الأكاديميات تلك التابعة للأندية والتي تتضمن فرق الفئات العمرية في النادي، إذ اللاعبون لا يدفعون رسم اشتراك ولا تحقق الأندية أرباحاً من ورائهم. أما النوع الثاني، فهو الأكاديميات التجارية التي تتقاضى رسم اشتراك وتحقق أرباحاً».

> **يُراوح بدل اشتراك اللاعب أو اللاعبة الشهري بين 30 دولاراً في الأكاديميات الصغيرة في القرى والبلدات الريفية و200 دولار في المدن بالنسبة إلى الأكاديميات الكروية الرفيعة المستوى**

> **تشير المعلومات غير الرسمية إلى وجود أكثر من 400 أكاديمية على مساحة لبنان تضم ما يناهز 25 الف لاعب ولاعبة**

> **يقدّر أحد الخبراء في هذا المجال ان حجم «Turn Over» الاموال في هذا القطاع يصل إلى مليوني ونصف مليون دولار سنوياً**

رقابة غائبة

تنتشر الأكاديميات الرياضيّة التجاريّة كـ«الفطريات» على مساحة لبنان. لا حسيب ولا رقيب، لا وزارة الشباب والرياضة حاضرة، ولا وزارة الداخلية. الأولى معنية بوضع دفتر شروط وفرض حصول رخصة لإنشاء أكاديميّة كرويّة، والثانية ترتبط مسؤولياتها على صعيد البلديات التي تُستخدم في نطاقها الملاعب التي تُؤسس الأكاديميات عليها. فلا شروط واضحة للسلامة العامة في هذه الملاعب ولا شروط تفرض ممارسة آمنة للعبة كرة القدم وحتى كرة السلة وغيرها من هذه الألعاب.

تشير المعلومات غير الرسمية إلى وجود أكثر من 400 أكاديمية على مساحة لبنان تضم ما يناهز 25 الف لاعب ولاعبة تُراوح أعمارهم بين 6 و18 عاماً. هنا نتحدث فقط عن كرة القدم، فالرقم يصبح مضاعفاً، إذا ما تحدثنا عن أكاديميات كرة السلة، وبعض الأكاديميات الخاصة بالرياضات الفردية كالجمباز والفنون القتالية. هي أشبه بالمدارس التعليمية من ناحية المستوى الاجتماعي والأقساط. إذ تُراوح بدل اشتراك اللاعب أو اللاعبة الشهري بين 30 دولاراً في الأكاديميات الصغيرة في القرى والبلدات الريفية و200 دولار في المدن بالنسبة إلى الأكاديميات الكروية الرفيعة المستوى.

تُراوح القدرة الاستيعابية لكل أكاديميّة بحسب المساحة المستأجرة على صعيد الملاعب. إذ يحدد حجم الملعب إذا ما كان ملعباً كبيراً أو ملعباً بقياس (60 * 40) متراً أو (40 * 20) متراً، عدد اللاعبين المنضمين إلى أي أكاديمية. وتقع على عاتق هذه الأكاديميات التجارية أكلاف أجور المدربين والتجهيزات وأجور الملاعب، كما إن هناك بعض الأكاديميّات القليلة التي تؤمن تغطية صحية للاعبيها في حال وقوع حوادث خلال ممارسة اللعبة.

لاعب «بطيّر» مدرّب

في كرة السلّة لا يختلف الوضع كثيراً عن كرة القدم، سوى بأن الأكاديميات أقل من حيث العدد. ولكن الكلفة المالية في كرة السلة، حيث تعد غالبية الأكاديميات تابعة للأندية تكون أكبر. فالأكاديميات الصغيرة تبدأ بـ45 دولاراً أميركياً وتصل في الأكاديميات الكبيرة إلى أكثر من $200، على أن تكون التمارين مرتين في الأسبوع، لمدة ساعة ونصف ساعة في كل حصة تدريبية. وإذا أردت حصصاً خاصة، فممكن أن تصل الحصة التدريبية الواحدة إلى $50. ولأن الأسعار عالية في الأكاديميات السلويّة، تتعرض الإدارات والمدربون هناك إلى ضغط أكبر من الأهالي، إذ يتدخل الأهل بالدقائق التي يجب أن يحصل عليها ولدهم للعب في التدريبات والمباريات، وهذا الأمر الذي أثاره المدرب اللبناني جورج جحجح في أكثر من مناسبة خاصة عندما قال إن «لاعباً بعمر 16 سنة يبطّير مدرب من الأكاديمية»، وهو الأمر الذي يؤثر في تنشئة هؤلاء اللاعبين سلوّياً. ودائماً ما يسعى الاتحاد اللبناني إلى تنظيم العمل في الأكاديميات، حيث عمل على وضع نظام موحد لعمل هذه الأكاديميات، ومنع أي سلة غيره بتصنيف ومنح شهادات للمدربين، خاصة بعدما أسس «أكاديمية المدربين» التابعة له منذ حوالى عام ونصف عام. واعتبر الاتحاد أن هذه الخطوة هدفها حماية الكادر التدريبي اللبناني وحماية اللاعبين، خاصة صغار السن من عواقب ممارسة اللعبة على يد مدربين غير مؤهّلين.

افضل خمس اكاديميات في العالم

تتطلب كرة القدم تفانياً منذ التأسيس، وغالباً ما تُحدد سنوات التكوين في الأكاديميات حول العالم مسار اللاعب. كما هو مُعتاد في كل عام، حدد مرصد «CIES» لكرة القدم الأندية التي درّبت لاعبين نشطين حالياً في 49 دورياً حول العالم لوضع تصنيف لأفضل الأكاديميات. تُقدَّم الدراسة أفضل 100 أكاديمية وفقاً لمؤشر تدريبي، يأخذ في الحسبان عدد اللاعبين المُدرَّبين، ومستوى الأندية التي لعبوا معها العام الماضي بالإضافة إلى دقائق المباريات الرسمية التي لعبوها.

تبعاً للدراسة، يحتل بنفيكا المركز الأول بـ 93 لاعباً مُدرَّباً في الدوريات الـ 49 التي شملها التحليل، بمتوسط معدل توظيف للأندية بلغ 0,807، ومتوسط 2582 دقيقة لعب في المباريات الرسمية في العام الماضي. من جهتها، جاءت أكاديمية برشلونة المعروفة باسم «لا ماسيا» في المركز الثاني (76 لاعباً، بمتوسط أداء 0,875 و2,773 دقيقة لعب) وأكاديمية ريفر بليت ثالثةً (97 لاعباً، بمتوسط أداء 0,805 و2,305 دقائق لعب). أما أكاديمية أياكس الهولندي فجاءت في المركز الرابع (80 لاعباً، بمتوسط أداء 0,841 و2,690 دقائق لعب)، بينما احتلّت أكاديمية بوكا جونيورز الأرجنتيني المركز الخامس (86 لاعباً، بمتوسط أداء 0,808 و 2,516 دقائق لعب).

وفي زمن أهمية «السوشال ميديا»، تخصص الأكاديميات التجارية ميزانية للترويج لها على مواقع التواصل الاجتماعي عبر التعاقد مع شركات أو أشخاص متخصصين في هذا المجال. وتقدّر الكلفة الإجمالية التي تقع على عاتق صناديق هذه الأكاديميات بـ 50% من قيمة المداخيل.

وتتركز الأرباح عبر المخيمات الصيفية والشتوية خلال العطل المدرسية، والمشاركات الخارجية في بطولات ودورات مخصصة للفئات العمرية. إذ تُراوح كلفة مشاركة اللاعب في دورة خارجية بحسب البلد المقامة فيه. فمن 1200 دولار في حال كانت الدورة في قبرص على سبيل المثال وصولاً إلى 2200 دولار في حال كانت البطولة في دولة أوروبية بعيدة.

وللملابس الرياضيّة حصة أيضاً كمصدر للأرباح لأكاديميات، كلّ بحسب الملابس ونوعيتها.

لكن كيف تدخل الأموال إلى بعض الأكاديميات التي تملك رخص أندية كروية؟

تقوم هذه الأكاديميات بإنشاء شركات تجارية تُدخل إلى حساباتها الأرباح، في حين تتحمل ميزانية النادي التكاليف. لذلك ترى أن النادي الذي هو من المفترض أنه جمعيّة لا تبغي الربح «مكسور» مادياً، في حين أن الأرباح تذهب إلى الشركة التي تم تأسيسها لهذا الغرض. ويقدّر أحد الخبراء في هذا المجال أن حجم «Turn Over» الأموال في هذا القطاع يصل إلى مليوني ونصف مليون دولار سنوياً.

النشاط الكروي

يتنوع نشاط هذه الأكاديميات على الصعيد الكروي بين المشاركة في دوري الواعدين والواعدات الذي ينظمه الاتحاد اللبناني، للأعمار بين 10 و 13 سنة، إضافة إلى البطولات غير الرسمية التي يكون دور الاتحاد فيها هو منح الإذن فقط.

هذه الدوريات أيضاً مصدر ربح للأكاديميات والمنظمين، إذ يبلغ بدل اشتراك كل لاعب 40 دولاراً كمعدل وسطي، وهي كلفة إضافيّة على كل لاعب ولاعبة. والمشكلة في هذه الدورات غياب الرقابة والإشراف عليها من قبل الاتحاد اللبناني، إذ إنها دورة غير رسمية ولا سلطة للاتحاد اللبناني لكرة القدم عليها.

لكن لا شك أن لهذه الأكاديميات إيجابيات أهمها خلق مساحة لمحبي كرة القدم على صعيد الأولاد بممارسة هذه اللعبة، وهو ما يوسّع قاعدة اللاعبين الممارسين لهذا اللعبة. لكن المشكلة تكون لدى أصحاب القدرات المالية المتواضعة والذين لا يكون أمامهم سوى الأندية كمكان يمكن لأولادهم ممارسة لعبة كرة القدم فيها.

وعلى صعيد فائدة هذه الأكاديميات التجارية كروياً بالنسبة إلى اللعبة في لبنان، لا يبدو أن الفائدة كبيرة. ذلك أن معظم اللاعبين في منتخبات الفئات العمرية هم من أكاديميات الأندية، إلى جانب بعض الأكاديميات المحترفة والتي ترفد المنتخبات ببعض اللاعبين.

فإذا أخذنا منتخب لبنان للناشئين دون 17 عاماً والذي شارك في بطولة غرب آسيا في الأردن قبل أيام وحلّ وصيفاً خلف منتخب السعودية، نجد أن هذا المنتخب يضم ثمانية لاعبين من أكاديمية نادي النجمة وأربعة لاعبين من أكاديمية أتليتيكو وأربعة لاعبين من أكاديمية BFA، ولاعب من التضامن صور ولاعب من الصفاء، إلى جانب لاعبين مغتربين.

أما منتخب الشباب دون 20 عاماً الذي هو الأهم على صعيد الفئات العمرية فمعظم لاعبيه إذا لم يكن جميعهم من الأندية الكروية، وليس من الأكاديميات إلا في ما ندر.

قطاع الأكاديميات قطاع مهم على أكثر من صعيد. فهو يتعلّق بشريحة أساسية في المجتمع وهي الصغار الذين هم أمل المستقبل. وهو قطاع يتضمن حجماً لا يُستهان به من الأموال، كما إنه ممكن أن يكون رافداً أساسياً للمنتخبات الوطنية. وبالتالي يحتاج إلى تنظيم ورقابة وإشراف من الجهات الرسمية وتحديداً وزارة الشباب والرياضة كي لا تبقى الأمور «فالتة» ويبقى القطاع دجاجة تبيض ذهباً لأصحابها وليس للوطن بشكل عام.

أخبار رياضية

لقاء الجريحين بين الحكمة وبيروت

يستضيف نادي الحكمة مساء اليوم (الساعة 21,45 بتوقيت بيروت) نظيره بيروت فيرس كلوب، على أرضية ملعب غزير، ضمن منافسات الجولة الخامسة من بطولة لبنان لكرة السلة.

المباراة تأتي في وقت حساس للحكمة، بعد خسارته أمام الرياضي في الديربي يوم الأربعاء الفائت بنتيجة (87 - 80) ضمن منافسات دوري السوبر لغرب آسيا WASL، فيما لا يبدو بيروت في أحسن أحواله أيضاً.

الضغط كبير على الحكمة الذي يمتلك تشكيلة مدججة بالنجوم، على رأسها يوسف خياط وعلي حيدر وجيرارد حديديان ولاعب الارتكاز ماكور مايكر... تشكيلة لا تقدم المستوى المطلوب تحت قيادة المدرب جو غطاس، الذي يقع بدوره تحت ضغوط كبيرة، وبات جزء كبير من الجمهور يطالب بإقالته من منصبه.

على الورق المباراة ستكون بمتناول الحكمة، كون بيروت لا يمتلك لاعبين مميزين هذا الموسم، وأقصى طموحاته هو الوصول إلى «الفاينال 6».

الحكمة مطالب بمصالحة جماهيره وتحقيق انتصار كبير، حتى يتمكن من استعادة الثقة والمنافسة محلياً وقارياً خلال الأسابيع المقبلة، خاصة أنه خسر مباراتين في غرب آسيا أمام الرياضي وغورغان.

«تمرّد» في الدوري الكولومبي

احتج أكثر من 170 لاعباً من أندية عدة في الدوري الكولومبي لكرة القدم عبر افتراش أرض الملعب مع صفارة انطلاق المباريات للمطالبة بتحسين ظروف عملهم، وفقاً لما لاحظ صحافيو وكالة فرانس برس.

وافترش اللاعبون أرض الملعب لبضع ثوانٍ بعد انطلاق ثماني مباريات من الجولة الأخيرة من الموسم العادي في الدوري الكولومبي الممتاز الخميس، وكان من بينهم لاعبون من أبرز الأندية على غرار أتلتيكو ناسيونال وأميركا دي كالي.

واحتج اللاعبون على رفض الهيئة الحاكمة الكولومبية لكرة القدم والاتحاد المحلي توقيع اتفاقية لتحسين ظروف العمل، وفقاً لنقابة اللاعبين (أكولفوتبرو).

ويطالب اللاعبون باتفاقية تتضمن، من بين أمور أخرى، زيادة نسبة رسوم انتقالاتهم وتحسين تغطية التأمين الصحي.

وأعلنت النقابة في بيان «الرسالة واضحة: يمارس لاعبو كرة القدم حقهم الأساس في الاحتجاج»، في حين لم يصدر أي رد من الهيئتين المعنيتين.

وكانت نقابة «أكولفوتبرو» أعلنت في آذار/ مارس أن اللاعبين سيحتكمون إلى الإضراب في ذلك الشهر، لكنها عادت عن قرارها في نهاية المطاف بعد التوصل إلى اتفاقات جزئية.

عم رئيس الاتحاد الإسباني السابق يرشقه بالبيض

تعرض لويس روبياليس الرئيس السابق للاتحاد الإسباني لكرة القدم للرشق بالبيض من قِبل عمه، خلال حفل تقديم كتابه الجديد في العاصمة مدريد.

وأدين روبياليس بالاعتداء الجنسي لإجباره نجمة كرة القدم جيني هيرموسو (35 عاماً) على تقبيله خلال حفل تتويج المنتخب بكأس العالم للسيدات، وبدا أنه تلقى ضربة على ظهره ببيضة، حيث رمى رجل، ادعى روبياليس أنه عمه، ثلاث بيضات باتجاهه.

وقال روبياليس (48 عاماً) لموقع «بيريوديستا ديجيتال» الإخباري الخميس «اكتشفت أنه عمي، لويس روبن. هو في نفس عمري».

وأضاف «لقد رشقني بالبيض لأنه شخص مختل عقلياً، ولا أعتقد أن هناك أي مبرر لذلك... لقد اعتقلوه واقتادوه بعيداً وعلينا اتخاذ إجراء ضده لأنني ظننت بصراحة أنه مسلح».

واتصلت وكالة فرانس برس بالشرطة الوطنية، وذكرت أنه تم اعتقال رجل إسباني، لكنها رفضت تأكيد صلة القرابة.

وحاول روبياليس مطاردة عمه قبل أن يوقفه أشخاص آخرون في حفل تقديم كتابه «قتل روبياليس».

وفي حديثه على التلفزيون الإسباني في وقت سابق من هذا الأسبوع، زعم روبياليس أنه ضحية «حركة يسارية متطرفة مفاجئة» خلقت «واقعاً موازياً» للاستفادة من قضية تقبيله القسري لهيرموسو.

وغُرِّم روبياليس 10,800 يورو (12,500 دولار) لتقبيله اللاعبة بالقوة خلال حفل توزيع الميداليات بعد فوز إسبانيا بكأس العالم للسيدات في سيدني في آب 2023.

ويصرّ رئيس الاتحاد الإسباني السابق على أن القبلة كانت بالتراضي، وقد صرّح محاميه لفرانس برس في حزيران/ يونيو أنه سيستأنف الحكم أمام المحكمة العليا بعدما أيّدت محكمة استئناف إسبانية الغرامة التي فرضت عليه.

وينصّ قانون العقوبات الإسباني على أن القبلة غير الرضائية تُعدّ اعتداء جنسياً، وهي فئة قانونية تشمل جميع أنواع العنف الجنسي.

وأثارت القبلة ضجة عالمية أجبرت روبياليس على التخلي عن منصبه، كما أدت إلى منعه من جميع الأنشطة المتعلقة بكرة القدم لمدة ثلاث سنوات، وأغرقت الاتحاد في فترة طويلة من الاضطرابات.

وجعلت هذه القضية من هيرموسو، الهدافة التاريخية للمنتخب الوطني (57 هدفاً في 123 مباراة)، رمزاً لمكافحة التمييز على أساس الجنس وثقافة الذكورية في الرياضة.

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
السبت 15 تشرين الثاني 2025 العدد 5644

قضية

نهب الآثار مستمرّ بنجاح كبير

لقد خطفوا فينوس من قلب الشام!

تفضح سرقة ستّ قطع ذهبية من المتحف الوطني في دمشق هشاشة حماية التراث السوري، وتكشف تنازعاً بين الاتهامات السياسية والحقائق الميدانية. الحادثة ليست معزولة، بل حلقة جديدة في مسلسل نهبٍ يطاول ذاكرة بلد يمتلك خمسة آلاف سنة من التاريخ، ويبدو اليوم عاجزاً عن صونه

(تعميم القطع المنهوبة)

مروة جردي

عاد المتحف الوطني في دمشق إلى الواجهة بعد تقرير لوكالة «أسوشييتد برس» أفاد بسرقة ستّ قطع أثرية ذهبية، بينها تماثيل ومقتنيات نادرة. تأتي الحادثة بعد أقل من عام على تكريم وزارة الثقافة عدداً من العاملين في المتحف «لجهودهم في حمايته من النهب خلال الفوضى التي رافقت سقوط نظام بشار الأسد نهاية 2024».

وزارة الثقافة تفتح تحقيقاً مع الداخلية

لم يصدر الخبر عن جهة سورية رسمية، بل عن وكالة أجنبية ذكرت أن السرقة طالت الجناح الكلاسيكي، بعدما اكتشف أحد الموظفين باباً مخلوعاً في القاعة. وبعد انتشار الخبر، أصدرت الوزارة بياناً على «إكس» أعلنت فيه عن «تشكيل لجنة خاصة لجرد محتويات المتحف وتحديد ما تمّ نهبه على يد النظام البائد وفلوله». خطوة بدت كأنها تحدد الجهة المسؤولة سلفاً. إذ يشير البيان إلى أن المتحف تعرّض لما سمّاه «عمليات نهب مبرمجة في عهد النظام البائد ووُضعت قطع مزيفة مكان قطع أصلية نهبت لمصلحة مافيات مرتبطة بالمخلوع وزادت هذه العمليات بعد عام 2011 مستغلة الأوضاع التي رافقت الثورة السورية». وكانت المديرية العامة للآثار والمتاحف قد أكدت في وقت سابق أنه «لم تحصل أي تعديات على المتحف»، مشيرة إلى أنه أعيد فتح أبوابه في 8 كانون الثاني (يناير) 2025 بعد إغلاق مؤقت ليلة سقوط النظام «خوفاً من تعرضه للتخريب أو النهب». غير أنّ سرقة القطع الجديدة أعادت الشكوك إلى الواجهة.

وفي بيان ثان، نشرت الوزارة صور القطع المسروقة وهي ستة تماثيل يُراوح طولها بين 20 و40 سنتيمتراً تعرف باسم «فينوس» وهي تماثيل لأجساد أنثوية، بعضها يرمز إلى آلهة الحب والجمال في الميثولوجيا الرومانية.

الخبيرة في التراث الثقافي المادي واللامادي رشا برهوم قالت لنا إنّ «التحقيقات يجب أن تشمل كل المتاحف والمواقع الأثرية في البلاد، بما في ذلك الرقة وإدلب وتدمر، الكتلة الكلسية ودورا أوروبوس وأفاميا والجزيرة السورية»، مؤكدة على أنّ «النظام السابق يتحمّل مسؤولية كبيرة عن نهب وتخريب المواقع الأثرية في المناطق تحت سيطرته، وكذلك حادثة سرقة في متحف حماه، لكنّ ذلك لا يعفي الجهات الأخرى من مسؤولياتها عن سرقات عدة للمتاحف في مناطق سيطرتها» داعية الحكومة الجديدة إلى «مساءلة الحليف التركي عن تدميره مواقع أثرية سورية مثل معبد عين دارا في عفرين» ومراجعة القطع الأثرية السورية المعروضة في «الدراك ويب» والسوق السوداء، ويعود معظمها إلى متاحف كانت تحت سيطرة المعارضة.

وأشارت إلى أنّ التراث السوري المادي واللامادي تعرض لكثير من التخريب خلال سنوات الحرب والعمليات العسكرية بسبب جهل الناس بأهمية هذا التراث للهوية الوطنية، ونشاط مجموعات التنقيب غير الشرعي والتهريب خلال أوقات الفوضى. ولم ينجُ إلا عدد قليل منها موجود في المجتمعات التي تعي أهمية الآثار كما في بصرى الشام ومعرة النعمان التي حرص أهلها على توثيق أعمال التنقيب والتبليغ عنها. وذكّرت بدور مهم قامت به المديرية العامة للآثار والمتاحف في حماية عدد من المواقع والمتاحف الوطنية في المحافظات السورية، خصوصاً متحف حلب. وفي مقابل الاتهامات التي أثارها بيان وزارة الثقافة حول إهمال أو تهاون في حماية المقتنيات خلال مدة حكم النظام، كان المدير العام الأسبق للآثار والمتاحف مأمون عبد الكريم نشر توضيحاً على صفحته الفايسبوكية في 30 تشرين الأول (أكتوبر) الماضي، أكد فيه أن «الغالبية المطلقة من المقتنيات الأثرية السورية حميت رغم ظروف الحرب»، وأنّ عمليات الإنقاذ التي جرت بين عامَي 2012 و2017 تمّت على أسس ميدانية دقيقة وبشهادات موثوقة من العاملين في القطاع داخل سوريا وخارجها.

وأشار إلى أنّ هذه الجهود لم تقتصر على تدمر، بل شملت نقل 30 ألف قطعة من متحف دير الزور بطائرات شحن، و24 ألف قطعة من متحف حلب عبر طرق محفوفة بالمخاطر، إضافةً إلى حماية مقتنيات حمص وحماة ودرعا والقنيطرة. وذكر بأن تلك العمليات نفذت «بروح وطنية خالصة ومن دون أي مقابل مادي»، وحظيت بتغطية إعلامية عالمية بوصفها من أبرز تجارب إنقاذ التراث الثقافي خلال النزاعات المسلحة. وختم بأنّ «تسييس التراث السوري يسيء إلى جهود العاملين الذين خاطروا بحياتهم في سبيل الحفاظ على الذاكرة المشتركة». في المقابل، لم تعلق الوزارة على ما ورد في منشور عبد الكريم.

السرقة قديمة... و«منعرف بعض»

حادثة سرقة التماثيل الستّة من المتحف الوطني في دمشق ليست سوى حلقة جديدة في مسلسل طويل من النهب والدمار الذي طال التراث السوري على امتداد أكثر من عقد من الحرب. وبحسب بيانات المديرية العامة للآثار والمتاحف وتقارير اليونسكو التي اطلعت عليها «الأخبار»، تضمّ سوريا ستة مواقع مدرجة على قائمة التراث العالمي، جميعها نقلت إلى قائمة الخطر منذ عام 2013.

(متحف دمشق)

وتشير التقديرات الصادرة عن اليونيسكو عام 2021 إلى أنّ نحو 750 موقعاً أثرياً تعرّض لعمليات حفر أو نهب غير قانونية خلال سنوات الحرب، بينها 343 حفرة تنقيب غير مشروع في بصرى و461 حفرة أخرى في تدمر و130 في إيبلا. كما اختفت من تدمر وحدها أكثر من 3300 قطعة أثرية موثقة. وتعتبر المواقع الأثرية في شمال ووسط سوريا الأكثر نهباً وتدميراً خلال سنوات الحرب. وفي هذا الإطار، تشير الأرقام إلى أنّ نصف مباني حلب القديمة تضرّرت أو دمرت، فيما احترق «سوق العصرونية» في دمشق الذي يضم أكثر من مئة محل أثري. ورغم بدء مشاريع ترميم محدودة، تقدر فترة التعافي الكامل لمواقع التراث السوري بما بين 15 و25 عاماً، في وقت ما تزال فيه معظم القرى الأثرية الشمالية مهجورةً. تقول مصادر في مجال حماية التراث إنّ هذه الأرقام «تؤكد على أنّ الخطر على التراث السوري لم يتراجع بانتهاء المعارك العسكرية، بل يتخذ اليوم شكلاً جديداً يتمثل في النهب المنظّم والتغاضي الرسمي»، وهو ما يجعل من حادثة المتحف «جرس إنذار متأخر لبلد يمتلك خمسة آلاف سنة من الذاكرة المادية، ويبدو عاجزاً عن حمايتها». وكنّا قد نشرنا في تموز (يوليو) الماضي مقالاً أشار إلى نجاة المتحف الوطني من مصير نظيره العراقي عام 2003 بفضل موظّفين آثروا البقاء لحمايته من النهب. يومها، كرم وزير الثقافة محمد ياسين الصالح اثنين منهم تقديراً لجهودهما في «إنقاذ المتحف ليلة سقوط النظام السابق». كما تم الإضاءة في تحقيق خاص حول عودة النشاط إلى أسواق التنقيب والتهريب في أكثر من منطقة خلال الشهور الماضية من قبل «عصابات محلية وأفراد يائسون» في ظل غياب السيطرة الأمنية. إلا أن سرقة مقتنيات من قلب العاصمة تبقى الأخطر والأكثر رمزية.

وعبّر السوريون عن غضبهم عبر منصات التواصل الاجتماعي، متهمين الوزارة بالإهمال ومطالبين بتحقيق يشمل عرض سجلات كاميرات المراقبة وسجلات الدخول، خصوصاً أن المسروقات تضمّ عملات ذهبية تدمرية من عهد زنوبيا وتمثالاً لأفروديت. وجاء خبر سرقة المتحف بالتزامن مع انتشار فيديو للرئيس السوري المؤقت أحمد الشرع في واشنطن مع نظيره الأميركي وهو يتحدث عن إهداء السيدة الأميركية الأولى نسخاً من «الأبجدية الأولى والنوتة الموسيقية الأولى» ما أثار تعليقات ساخرة تربط بين هدايا الرئيس والقطع المنهوبة من المتحف.

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

كلمات

ملحق أسبوعي

3-2

مازن حيدر...
آخر أيّام الحرب الأهلية!

السبت 15 تشرين الثاني 2025
العدد 5644 السنة العشرون
Samedi 15 Novembre 2025 no 5644 20ème année

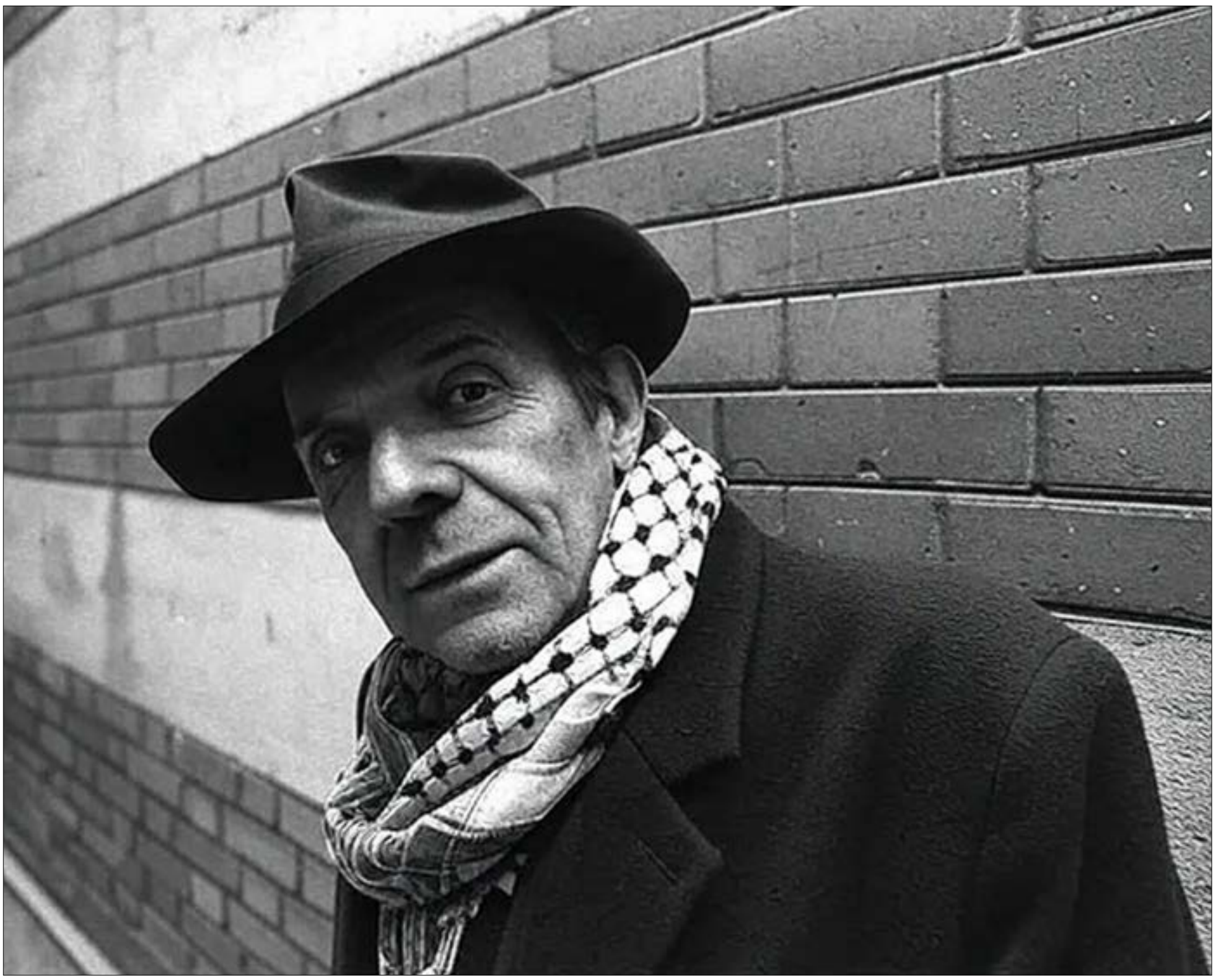

صورة منشأة بالذكاء الاصطناعي

صرخة دولوز في زمن الإبادة

محمد ناصر الدين

في مناسبة الذكرى المئوية لميلاد الفيلسوف الفرنسي الكبير جيل دولوز (1925-1995)، زفّت «دار مينوي» الباريسية بشرى سارة إلى محبي الفلسفة والفكر بطباعتها مجلّدين من الدروس التي ألقاها دولوز بين عامَي 1979 و1980 في جامعة فانسين قبل أن تغلق أبوابها إلى الأبد. أحدهما حمل عنوان «عن جهاز الدولة وآلة الحرب»، والآخر «الخطوط التي تتكوّن منها حياتنا».

«مدرّجات فانسين، لا أدري إن كنتم رأيتموها، إنّها دراكولا في أنقى حالاته. إنّها أشبه بضريح. هنا، في الأمر شيء من النقاء والبهجة»: وسط البهجة والفوضى الخلّاقة التي تميّزت بها نقاشاته المكثّفة مع طلّابه، خصّص دولوز دورةً دراسية كاملة لأحد الأسئلة المركزية التي طرحها مع زميله فيليكس غاتاري في كتابهما «ألف هضبة»، وهو سؤال يعبُر الفلسفة السياسية كما الأنثروبولوجيا وعلم الآثار ويتناول لغز أصل الدولة.

يتساءل دولوز عمّا آلت إليه فكرة الحرب وممارستها منذ الحرب العالمية الثانية، وأهدافها وغاياتها في ظلّ التطوّرات الجديدة للرأسمالية. يستلهم في ذلك التحليلات الإستراتيجية للضابط البروسي في القرن التاسع عشر كارل فون كلاوزفيتز، وكذلك فكر نظيره الفيلسوف والمنظّر بول فيريليو. بجملته الشهيرة: «الدولة الفاشية هي دولة انتحارية»، يستند دولوز إلى هذه الفكرة ليتساءل تدريجاً عن كيفية عمل آلة الحرب وأوجه تحولاتها في علاقتها بالدولة، ويطرح أكثر من سؤال مهم: كيف أوجدت تلك الإمبراطوريات القديمة والنائية مثلاً شكلاً جديداً من التنظيم السياسي والاجتماعي؟ وكيف تمكّنت من الاستيلاء على الأراضي الجماعية وتحويل نشاط البشر إلى «عمل»، وإخضاعهم للضريبة؟ أي باختصار: كيف استطاعت أن تستولي على الأرض والعمل والثروة؟ وبأيّ آليات رهيبة تحوّل «جهاز الالتقاط» هذا في ما بعد ليصبح اليوم الأداة الضرورية للرأسمالية؟ وليس آخرها: كيف تنقلب أجهزة الدولة الحديثة إلى الفاشية أو التوتاليتارية؟

كانت تلك الدروس مناسبةً لدولوز كي يعود إلى ما يميّز الفاشية عن الشموليّة، ويتساءل مثلاً لماذا فضّلت الولايات المتحدة أن تصطفّ إلى جانب روسيا الستالينية بدلاً من التفاهم مع هتلر، ولماذا نجح هذا التحالف، ليقدّم جيل دولوز بعض الفرضيات التي يشرّح الحرب عبر نقيضها: السلام. لكنه سلامٌ من نوعٍ خاصّ: سلام الرعب، المصحوب برؤيةٍ أمنيةٍ على مستوى العالم، حيث يمكن لأيّ فردٍ اليوم أن يصبح «عدوّاً محتملاً»، ويحكم عليه بالموت عبر «جهاز الدولة وآلة الحرب».

الفيلسوف الذي تعاطف مع محنة الفلسطينيين وخصّ القضية الفلسطينية بمقالات ثلاثة في كتابه «نظامان للمجانين» (دار مينوي 1983)، أولها بعنوان «هنود فلسطين الحمر» وهي مقابلة طويلة على امتداد نحو عشرين صفحة مع الياس صنبر، ومقالين اثنين بعنوان «عَظَمة ياسر عرفات» و«المزعجون»، كأنه استشرف الموت الذي تفرضه دولة العدو على أهل غزة بوصفه «انقطاعاً يأتي دوماً من الخارج»، كشيء دخيل يثير حنق الفيلسوف الغاضب من كلّ عبادات الموت وأناشيدها.

أمام احتفاء آلة الموت الصهيونية والغربية بالموت الفلسطيني واللبناني، نسترجع كل حيوية الجملة التي يقولها دولوز في دروسه في وجه كل من يشمت بموت أهلنا، ومدننا وقرانا وزيتوننا وأرزاقنا: «كلّ من يقول: يحيا الموت! هو فاشيّ. أنا على يقين أنه لا يمكن لأيّ جمال أن يمرّ عبر هذا الطريق. الحياة، لا شيء غير الحياة».

حوار

مازن حيدر... آخر أيّام الحرب الأهلية!

يُعدّ مازن حيدر واحداً من أبرز الأصوات السرديّة الجديدة في الأدب اللبناني المعاصر، يجمع بين حسّ المعماري ودقّة الباحث وفضول الراوي الذي يتوغّل في الطبقات العميقة للمكان والذاكرة. وُلد في بيروت عام 1979، وتخصّص في دراسة التراث المعماري اللبناني. واصدر عدداً من البحوث بالعربيّة والفرنسيّة عن عمارة بيروت السكنيّة في القرن العشرين، فانعكس هذا الشغف في أعماله الروائيّة التي تقارب التاريخ من زوايا الحياة اليومية. في رواياته، يستكشف مازن حيدر الواقع اللبناني طبقةً طبقة، ليصل بعد تصميمٍ وتأنٍّ إلى هيكليّة وتصميم وتنفيذ الحدث من الزاوية الروائيّة التي تسمح له بالكثير من الحركة في مساحةٍ لا متناهية. وهكذا يستطيع تتبّع خيط الحكاية بحريّة تامّة.

في رواياته الثلاث، من «فور ستيبس داون» (2017) إلى «الرجاء استبدال الأكاليل» (2023) وصولاً إلى «صيف أرملة صاروفيم» الصادر أخيراً عن «دار نوفل»، يبني حيدر عمارته السردية ببطءٍ هندسيٍّ مدروس. يرصّ حجارة الحكاية كما يرصف المعماري الجدار، جاعلاً من كل تفصيلٍ نافذةً على الذاكرة الجماعية. تدور احداث الرواية خلال اخر جولات الحرب الاهلية اللبنانية، أو ما يُعرف بـ «حرب التحرير»، عبر قرية «عين سرار» المتخيلة الواقعة في جبل لبنان. ترصد الرواية اواخر الحرب الاهلية اللبنانية في صيف 1989، والحالة الانتقاليّة في النسيج اللبناني قبيل شروف العقد الاخير من الالفيّة الثانية. هذه القرية تختزل المشهد اللبناني، في لحظة حرجة غير مطروقة كفاية في أدب الحرب، تتقاطع مع الكثير من المحطّات اللاحقة التي لا تقلّ حرجاً أو عنفاً ضد الحجر والبشر في لبنان، وايضاً في المنطقة.

يكتب حيدر بلغةٍ دقيقة وهادئة، اقرب إلى عدسةٍ تلتقط ما يتوارى خلف الصخب، باحثاً دوماً عن العلاقة الملتبسة بين المكان والإنسان. في «صيف ارملة صاروفيم»، كما في مجمل مشروعه، يستعيد الذاكرة ليصوغ منها سؤالاً اخلاقياً وثقافياً حول معنى البقاء في بلدٍ تتكرّر حروبه وتتبدّل وجوهها. التقينا مازن حيدر للحديث عن روايته الجديدة والتاريخ اللبناني الشائك والذاكرة و... المستقبل!

تقديم وحوار **هدى مرمر**

مازن حيدر: ارکز على الانسان في كل مساراتي المهنية

■ بدايةً مع «صيف أرملة صاروفيم»، وهو عنوان لافت كمّا عوّدتنا في أعمالك السابقة. هل وضعته قبل الكتابة أو بعدها أو أثناءها؟

- قد تستحق العناوين التوقف عندها ربّما لكونها طويلة نسبياً وتفيض بعض الشيء بالتفسير عن جوهر أحداث الرواية كما في «صيف أرملة صاروفيم» أو لأنها مختارة من تعابير تنبض بواقع مجتمعنا كما في روايتي السابقة «الرجاء استبدال الأكاليل». أميل فعلاً إلى العناوين التي لا تكتفي بإعطاء فكرة موجزة عن الرواية، بل تلك التي تغمر القارئ بالحلم والدهشة إذا جاز التعبير، وتأخذه في رحلة قبل أن يبدأ الصفحة الأولى. وغالباً ما تأتي لحظة ولادة العنوان مبكراً، منذ أولى مراحل الكتابة، فتصبح خيطاً يقود كل مفصل من مفاصل الرواية، كأنها بوصلة سرّية مثلاً تدل الكتابة على الطريق.

■ لقد انتقيتَ مدةً تاريخيّةً مفصليّةً في تاريخ الحرب الأهلية اللبنانية في وقتٍ بات فيه تركيز الأدب اللبنانيّ على المدة السابقة أو اللاحقة للحرب. لِمَ هذا الاختيار كخلفيةٍ لرواية «صيف أرملة صاروفيم»؟

- أعتقد أنّ حرب لبنان تستحقّ التأمّل في جميع مراحلها، ليس فقط لما تحمله من فصول وتفاصيل عن تاريخنا غفل عنها الأدب والفنون البصريّة، بل لأنّها المرحلة التي أسّست، بل زرعت جذور السلوكيات التي لا تزال تتحكّم بنا حتى اليوم. مَن يراجع الصحافة اللبنانية إبّان حرب السنتين مثلاً (1975- 1976)، يرى كيف تعامل بعض سكّان بيروت مع الأزمة وتبعاتها وكأنّها طارئ شاذ يصعب التأقلم معه: بعضهم يطالب بحقّه في التوقف عن دفع بدلات الإيجار بسبب انقطاع خدمة التدفئة في بنايته مع أولى جولات المعارك، وآخرون يستنكرون تقاعس المالك عن ريّ أزهار الحديقة! أمّا اليوم، فقد أصبحت لمولّدات الكهرباء الخاصة تسعيرة رسميّة تحدّدها هيئة حكومية (!). أعود إلى هذه المفارقات لأؤكد على أنّ مفاتيح فهم الحرب متعدّدة، فهي ليست مجرّد رمز للاقتتال، بل دليلٌ أيضاً على مراحل التطبّع مع ما لا يمكن أن يتقبّله أي عاقل. فـ«حرب التحرير» عام 1989، شكّلت المعركة ما قبل الأخيرة في حرب لبنان، وكانت فاصلة بين نزعتين: نزعة للعودة إلى المنطق والعيش في بلد بلا حرب، وأخرى للتطبّع مع الوضع الشاذ والتمادي في الانغماس فيه. وللأسف، غلبت النزعة الثانية على أكثر من صعيد.

■ رغم الزمن الحسّاس للرواية، نجد التركيز على التعليم وأهميّة التسلّح به لبطلة الرواية الشابّة وللصّغار. هل يعكس ذلك واقعاً أو تمنّياً خاصاً تسقطه على الواقع اللبنانيّ اليوم؟

- المفارقة أنّ حرب لبنان نفسها رسمت أسساً للتكيّف مع ظروفها المتقلّبة، فأصبحت للتعليم واستكمال المناهج في فترات الاقتتال، أطرٌ شبه مقوننة، تفرض حضورها مهما كان السياق أو الإطار. وقد بدأ ذلك مع التعليم التلفزيوني وما عُرف بـ«التلي إيكول» في نهاية عام 1975، ما جعل لبنان من أوائل الدول في العالم، إن لم يكن الأوّل، التي استخدمت التلفزيون لهذا الغرض في ظروف أمنية استثنائية. وإلى جانب ذلك، ظهرت برامج تعليمية بديلة كانت المدارس تعدّها خلال فترات الإقفال القسري. في الحالتين معاً، كانت المثابرة على الدراسة إما تشبّثاً بالتعليم، أو ببساطة وسيلةً للهروب من قسوة الحياة اليومية وملاذاً لعدد كبير من الشبّان والمراهقين. أما واقع اليوم في لبنان، فلا يختلف كثيراً عن تلك الأجواء باستثناء سهولة التواصل ومواكبة الدراسة من بعد.

■ لمَ الصيف وليس الخريف أو الربيع؟ هل هو أمَلٌ مبطّن يشي بموسم حصاد سلامٍ حقيقيّ؟

- لأنّ الصيف في الريف اللبناني كان تاريخياً: هو موسم اللقاء بين سكّان المدينة المصطافين وسكّان القرى المقيمين. غير أنّ فترة الحرب والمعارك المتركّزة ساحلاً في معظم الأحيان، قد أعطت هذه المعادلة معاني جديدة. إذ صار المقيمون في القرى، الذين شاء الخلل الاجتماعي أن يكونوا أقلّ شأناً أو مكانةً مقارنةً بأهل بيروت، هم الأكثر حظاً بعدما نعموا بقدرٍ من الأمان، بينما تحوّل أبناء المدنُ المصطافون إلى نازحين. أمّا الخريف في الرواية، فقد كان الأمل بعينه هذه المرّة. وكان برودته جاءت لتخفّف من حرارة الصيف الملهب بأخبار المعارك. وأمّا العودة إلى بيروت في خريف الرواية، فهي تمثّل استرجاع التوازن والهدوء بعد صيف مضطرب.

> **حيدر: حرب لبنان تستحقّ التأمّل في جميع مراحلها لأنها زرعت جذور السلوكيات التي لا تزال تتحكّم بنا حتى اليوم**

> **حيدر: اتاح البُعد المكاني عن لبنان قراءة اكثر صفاء للتاريخ والذاكرة**

■ هل في التفاتك لتفاصيل الثمانينيات، مثل عدم القدرة على التواصل الفوري عبر الهاتف، حنين ما؟ أم هو نقلٌ صادقٌ وموضوعيّ كلياً بعيداً من الرومانسيات التي تعتري جيل هذه الحقبة؟

- إنّه في الواقع نقل لتفاصيل الحياة في تلك المرحلة، مع تركيز على ما تغيّر في أساليب العيش اليوم، حتى أثناء الأزمات. فصعوبة الاتصال آنذاك، وأزمة الوقود التي تعيدها الرواية إلى الواجهة، إضافةً إلى الملاحق الإخبارية المتتالية وبعض إعلانات الراديو لمواد غذائية كثُر استهلاكها خلال الحرب، كلها عناصر تضيف للزمن الروائي بُعداً ملموساً. لا، ليس حنيناً، بل استعادة لتفاصيل ترسم الإطار الزمني وتمنحه بُعداً واقعياً إلى حدّ ما.

■ «صيف أرملة صاروفيم» هي روايتك الثالثة؛ كيف اختلفت تجربة الكتابة والنشر فيها، مقارنةً بالتجربتَين السابقتَين؟

- أعتبر أنّ ملامح تجربتي الروائية قد بدأت تتبلور بشكل أوضح مع روايتي الثانية «الرجاء استبدال الأكاليل»، إذ اتخذت العلاقة بالذاكرة والتاريخ حيّزاً أكثر وضوحاً وصراحة، مقارنة برواياتي الأولى التي كانت أقرب إلى تراكم بصريّ غزير، لكن غير مصقول بعد، حمل ربّما بذور ما سياتي لاحقاً. في «صيف أرملة صاروفيم»، بقي للبناء السردي شيءٌ من الثقل المقصود كما في التجربة السابقة، لكنّه اتخذ هذه المرّة شكلاً دائرياً، ببداية ونهاية تتقاطعان على نحوٍ قد يترك أثراً لدى بعض القرّاء، أو على الأقل، هذا ما كنتُ أطمح إليه وأنا أكتب.

■ ترتكز كتاباتك على لبنان رغم مكوثك في الخارج. هل تفكّر في الكتابة عن تجربتك الفرنسية، أم ما يزال يلازمك طيف الوطن الأم؟

- إقامتي خارج لبنان منذ سنين كانت حافزاً من دون شك على اتّخاذ لبنان كمسرح أساسي للتجربة الأدبيّة والمسرحيّة العابرة وحتّى في البحث الأكاديمي. ربّما أتاح هذا البُعد المكاني مسافةً لازمةً لتوضيح الرؤية، أو على الأقل فقد أتاح قراءة أكثر صفاءً للتاريخ والذاكرة، تحتفظ بشيءٍ من المسافة من دون أن تدّعي موضوعيةً كاملة. أما تجربتي في فرنسا، وإيطاليا قبلها، حيث أمضيت ثلاثة عشر عاماً من عمري، فلم تلفتني تفاصيلها بعد إلا من زاوية الاغتراب حتى اللحظة. لربما تأخذ هذه التجربة معنى آخر يوماً ما... أو لا.

■ أيّ شعور أو فكرة تتمنى أن تصل إلى قارئك؟

- أتمنّى أن يلتمس الأفكار والخيوط المنسوجة فيها، علّها تقوده إلى أحلام وصورٍ لم تخطر في بالي أثناء الكتابة.

■ كيف تؤثّر دراستك للهندسة في بناء رواياتك؟

- أتعامل مع مهنتي كمهندس في الترميم، ومساري الأكاديمي، وتجربتي الأدبية، جميعها بأسلوب الباحث الذي يغوص في خبايا الذاكرة، ويركّز على الإنسان وتعاشه كبطل أساسي في هذا السياق، سواء في السكن أو في تحولات العمارة والمدينة. العمارة والرواية والبحث تشكّل أوجهاً متكاملة من تجربة واحدة بالنسبة إليّ.

■ هل من موضوع تتردّد في طرحه روائياً، على الأقلّ حالياً؟

- ليس فعلياً. ربّما ما لم أقترب منه بعد هو الخروج من الفضاء اللبناني في الرواية، كما أشرت سابقاً. لم يخطر لي بعد، أو ربما لم تنهيا له اللحظة المناسبة.

■ أيّ نصيحة لكاتبٍ/ة مبتدئ/ة؟

- أن يستمع/ تستمع أولاً إلى شغفه/ شغفها، ثمّ يستدعي/ تستدعي ما راكمه/ راكمته من خبرات سواءً في التنظيم، أو الترتيب، أو البناء، أو حتى في الطهي (!) حيث يأتي الشغف حينها مثقلاً بقدرة على التوازن، وعلى تحويل الفوضى الأولى إلى أشكالٍ تحمل أثراً ومعنى.

■ هل من عملٍ مستقبليّ تشكّلت رؤيته لديك أو باشرت به؟

- نعم ... على نارٍ هادئة.

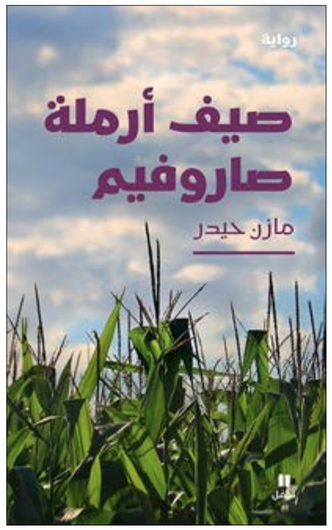

نبذة عن الرواية

عين شرار... قريةٌ جبليّة متخيَّلةٌ في لبنان. إليها تنزح أسامة لتقيم في بيت خالها، هرباً من الحرب الدائرة في بيروت، حيث بقيَ والداها. أعلى تلّ اللزاب في بيت الراحل صاروفيم، تقيم أرملتُه غريبةُ الأطوار حارسةً جبّانةً متاولة. ما الذي يكتنفه بيتُها؟ وما الذي ستكتشفه أسامة عن المقبرة المواجهة له؟ كيف ستروّض قلقها على والدَيها، أبقراءة كتب الأدب؟ بتدريس طفلَيْن نازحَيْن؟ أم بمغامرات فكّ الغاز الدفائن؟

تُسلّط الرواية الضوء على سرقة الآثار في الحرب، غامزةً إلى حدثٍ لم تتكشّف حقيقتُه خلال حرب المئة يوم عام 78، إذ أشاعت الصحافة نقل آثار من متحف بيروت الوطنيّ، إلى متحف نيقوسيا في قبرص ضمن معاهدةٍ دوليّة لحمايتها. فهل نُقلتْ الآثارُ أم سُرقتْ؟

روايةٌ لبنانيّة تسجّل يوميّات «حرب التحرير» عام 1989، وتُحيي ثقافة حماية الآثار بسردٍ مشوّق، أبطالها فتيةٌ يحاولون فكّ رموزٍ محفورةٍ على شواهد قبور، تقود إلى دفائن وكنوز.

فصل من رواية

الصعود إلى النهار (*)

علي السقا

نجلاء تسمّيه حيّاً. عندما تزور عمّها في المحمودية، آخر من بقي لها من أهلها، تقول: «عندنا في حيّ السّنديانة كذا وكذا». الجميع يهزّون رؤوسهم موافقين. ويلفت بعضهم نظرها إلى أنّ معظم القرى لم تعد كذلك، بل تحوّلت إلى ما يشبه الأحياء الكبيرة في بيروت. لكنّ حسن الذي يكون إلى جانبها، يسخر منها في سرّه. فحيّ السّنديانة ليس حيّاً، ربّما كان كذلك عندما كان يضمّ عشرين بيتاً. أما اليوم، فقد بات غابة متوحّشة من الإسمنت. حسن يحفظ الحيّ وتزوّج فيه، ويعرف أنّه صار نموذجاً لتلك الأماكن التي قام فيها البناء عشوائيّاً ولا تدخلها الخدمات، لأنّ الدّولة لا تطوّها حتى لجباية أيّ نوع من تلك الضّرائب الغريبة التي لا يعرف النّاس سببها ولا الفائدة منها.

ولذلك لوّح أهالي حيّ السّنديانة لظلّ الدّولة بنيّة تحتيّة بدائيّة صنعوها بأنفسهم. كهرباؤهم مسروقة، ويصرفون فضلاتهم إلى حفر عميقة أحدثوها على بُعد أمتار من مساكنهم، تخرج منها أنابيب أخرى تصبّ في البحر المتاخم. هذا الجار الذي يخافون نوبات غضبه في الشّتاء. وإذا كانوا قد انسجموا مع رائحة فضلاتهم التي تحملها الرّياح كيفما تهب، فإنّهم لم يجدوا حلّاً للبعوض والحشرات التي تأكل ممّا يطفح به الشّاطئ من فضلات، وتنفر في الأرض والجوّ، سوى بإقفال النّوافذ وتشغيل المراوح ورشّ مبيدات رديئة تنشر موجة طويلة ومسمومة من السّعال والتّأفّف.

أما مياههم التي استمدّوها من آبار مالحة قريبة من البحر، فتحيل الصّنابير والأنابيب إلى أجسام تتقيّأ كتلاً ملحيّة تنمو على قطرها كفطريّات، فتجود بسائلها الذي يجري إلى البلّاعات أبيض ممزوجاً بلون الصّدأ البنّي. وحده أبو عادل، الذي يلقّبه الأهالي هنا بالطّاووس، سلطان النّهار والليل، فهو صاحب مولّد الكهرباء الوحيد في المنطقة، ولا ينازعه في ملكه أحد.

«ابن حرام مصفّى»، يتهامس النّاس في ما بينهم، ويحصون ما عاد به هذا المولّد على أبي عادل من نفع. فقد افتتح دكّاناً كبيراً بسقف من «الزّينكو»، اقتطعه من الطّريق العامّ ولا يقفل بابه مطلقاً، ثمّ افتتح متجراً لبيع الثّياب والأحذية المستعملة بجواره. يتذكّر حسن تلك الظّهيرة التي استيقظ فيها وقلبه ينبض بسرعة، إثر طرق مزعج على الباب. لم يكن قد مرّ على نومه إلّا القليل حينما نهض وكاد يتعثّر بسروال بيجامته، ثمّ تسمّر مكانه لبرهة قبل أن يفتح للطّارق. بادره رجل بوجه ممتعض وهو يقلّب رزمة من الإيصالات.

«السّلام عليكم، أخي حسن. يقول لك أبو عادل إنّك تأخّرت». رفع الرّجل حاجبيه مسدّداً نظره في وجه حسن، «لكنّه سيصبر عليك كرامة هذين الصّغيرين»، أشار بعينيه إلى الطّفلين. «كلّ شهر تتّصل به وتقول له اصبر حتى أقبض راتبي وتتأخّر حتى منتصف الشّهر، وأنت تعلم أنّ المازوت مكلف والمصاريف كثيرة. لا يستطيع المعلّم أن يصبر عليك كلّ مرّة. يقول لك إنّه سيمهلك حتى صباح الغد وإلّا فإنّه سيقطع عنك الكهرباء»، نطق الرّجل عن لسان أبي عادل، وبدا لحسن أنّه ألقى نظرة باحثة خاطفة إلى الدّاخل، ثمّ استدار معزجاً إلى الطّوابق العليا.

عاد حسن أدراجه. خطا مسرعاً ثمّ ارتمى على السّرير متجنّباً إفراغ غضبه في طفليه التوأمين اللّذين يلهوان أرضاً وينظران إليه، ثمّ نجلاء التي تعمّدت البقاء في المطبخ لتخفّف عن نفسها عبء الجدال. حدّق إلى السّقف، شفرات المروحة تدور وتدور لكنّ الهواء يهبط ببطء، كأنّ مسافة شاسعة تفصلهما.

«الدّنيا سكرانة» هكذا تصف زوجته الطّقس الحارّ الذي يبخل على النّاس بنسائم طريّة.

أطبق جفونه. الكلام القديم نفسه يطنّ في أذنيه. «نحن عبيد يا أستاذ حسن». تجهّم. حدّث نفسه: هل تتذكّر كم سررت لأنّك نجحت في شراء بزّاد وغاز وغسّالة ومايكرويف بالتّقسيط؟ كنت تطير فرحاً إلى حدّ أنّ وقوفك الطّويل أمام المايكرويف وتحديقك إليه بات يُضحك نجلاء. لكنّك تتناسى أنّك كلّما اشتريت جديداً، فإنّك تدفع الثّمن من عمرك الذي تشتغل فيه كالحمار وتعيش عيشة الكلاب. قُمْ إلى المرآة وانظر إلى شعرك، تأمّله يا أبله، لقد بدأ يشيب وما زلت تحيا حياة الكلاب. ثمّ إنّك لم تكبر لتصبح حيواناً آخر، بقيت كلباً مطيعاً جدّاً. لا أدري، لعلّها ميزّة فيك! لكنّها، على أيّ حال، ميزة حسنة لأنّها تبقيك في وظيفتك، هذا يطمئنك قليلاً. لكن لا تنسَ أن تدّخر بعض المال لكي تشتريَ عقاراً مضاداً لاحتراقك النّفسيّ. آه، وضعك لا يسمح بذلك؟ عائلتك أحقّ؟ نعم. لكن يجدر بك إذاً أن تعتاد الأمر العظام والعينين ونوبات الصّداع النّصفيّ. أما إحساسك المستمرّ بأنّ وظيفتك تجعلك تحترق وتذوب مثل شمعة، فواصل تحايلك عليه بالرّياضة، ولو أنّها غالباً ما تكون قصاصاً لأنّك مُتعب جداً. الرّياضة دواء مجّانيّ يا حسن، ألا ترى أكثر النّاس يواظبون على الرّياضة؟ ألم تقرأ أنّها تساعد على التّخلّص من الضّغط النّفسيّ؟ بقدر ما تتعرّق ينظّف دماغك نفسه من الأفكار السّود وسمومها. واظب على الرّياضة حتى تسكّن رعبك من فقدانك لوظيفتك وتنام نهارك على كذبة حلوة. هذا يجعلك أيضاً تنغمس في عملك وتطوّعك المجّانيّ لمهمات إضافيّة، وتسرّ لأنّك تثبت لراجي مُراراً أنّك موظّف لا يمكن للشّركة الاستغناء عنه.

لكن هذه كذبة كبيرة، يا حمار! أنت تعرف أنّه يمكن الاستغناء عن أيّ كان، ثمّ إنّ راجي خنزير، هل نسيت؟ لا يعنيه له احتراقك شيئاً. إنّه لا يراه، ولا يشعر بوجودك أنت أيضاً. بمستطاع راجي أن يستغني عن خدماتك متى أراد. يرفع السّماعة ويجري مكالمة لا تتعدّى دقيقة، فيتّصلون بك من قسم شؤون الموظّفين ويستدعونك. هناك، ستقف أمام الموظّفة متآلفاً أناقتها وتنظر بقلب مضطرب إلى ابتسامتها المتكلّفة فيما تطلب منك التّوقيع على أوراق، قبل أن تسلّمك مظروفاً تحمله بأصابع مرتجفة وتمضي إلى غير رجعة.

لا دواء لقلقك يا حسن، لا شيء يكبح جوعك أيّها الكلب البائس. ترى ماذا تملك اليوم غير بدن يعينك على العمل لتأكل وتشرب وتُطعم أفواه الكلاب الثّلاثة في عهدتك؟

تأمّل حسن أطرافه. إذا مرضتَ أو أصابتك عاهة فإنّك ومن معك ستموتون جوعاً. بلع حزنه الحنجرة، غلا صخب ولديه، ثمّ خفت بعد أن تدخّلت أمّهما. أمال وجهه ملقياً بصره عليهما من شقّ الباب، راهما يلعبان، فابتسم. قطار كهربائيّ صغير ولعبتان رخيصتان قادرتان على إلهائهما عن التّفكير. سعادتهما سهلة، بمتناول اليد. ذرف دمعة يتيمة؛ لو أعود طفلاً، لا زواج ولا من يحزنون. «لكنّ هذا هروب يا حسن. الجبناء يفعلون ذلك، أنت رجل، لا تكن جباناً»، حدّثه صوت في نفسه.

تنهّد. «أعمل وأعمل، وعندما أشيخ يركلونني على قفاي، فأشحذ ثمن الدّواء والرّغيف». هزّ رأسه بحركة عصبيّة رافضة. «لا بل سيركلونني قبل أن أشيخ أيضاً! يشترون ماكينات تعمل بالذّكاء الاصطناعيّ ليستغنوا عنّا جميعاً. لا ضمان ولا تعويض نهاية خدمة. سياتيك الدّور، يا حسن. تبّاً لكم وللتّكنولوجيا. أنا وعائلتي سنموت جوعاً بسببكم، يا أولاد الكلبة. تبّاً لكم». قال، ثمّ بصق. «أنت تفكّر في كلّ هذا، وربّ عملك يصرف نهاره مسترخياً على شاطئ البحر، مفكّراً كيف سيحلّ الذّكاء الاصطناعيّ مكانك، أنت وأمثالك، وتكبر أرباحه، وعندما يعود سيشغّل التكييف في السّيّارة ثمّ في البيت، ويتنعّم بهواء بارد. هذا الرّجل لا يعرف طعم ورائحة العرق الذي يسيل منك الآن إلّا عندما يمارس الرّياضة. هو يستجمّ، وأنت تحلم بالنّوم في فيء شجرة متمرّغاً بالعشب مثل قطّ محرور. لماذا يشتري منّا الأغنياء الوقت؟ ولماذا نبيعه لهم؟».

صرف حسن نهار عطلته منعزلاً وصامتاً، فأثار ريبة زوجته. شخير ولديه بلغ غرفة الجلوس. نهض متوجّهاً بقدمين ثقيلتين إلى غرفة النّوم. انطرح على السّرير، ساعة ويبزغ النّهار، تأمّل ساعديه، ثمّ تحسّس جبينه بأطراف أصابعه. متعرّق وعرقه رطب كأنّه الصّمغ. استدار مسنداً خدّه إلى يده، انسلّت ريح من الخارج محمّلة بروائح النّفايات التي تفرغها الشّاحنات في مطمر استُحدث بالقرب من حيّ السّنديانة. تمتم محدّثاً نفسه بأمور كثيرة، ثمّ فجأة، اخذت مشاهد وصور تقتحم مخيّلته. رأى نفسه محمولاً على الأكتاف مثل بطل منتصر، والنّاس يهتفون باسمه بحماسة وفرح عظيمين. اجتاحه شعور بقوّة روحيّة وجسمانيّة رهيبة. شعر بسعادة كبيرة، لكنّ سكّرة النّعاس أنهكته.

«الصّلاة خير من النّوم» صدح الصّوت من مكبّر الجامع الملاصق. تقلّب حسن، ثم نام.

(*) فصل من رواية تحمل العنوان ذاته، صدرت حديثاً عن «شركة المطبوعات للتوزيع والنشر» في بيروت للكاتب اللبناني علي السقا.

قصائد

ثلاثية الأرض، النار والماء

(الى رهام، علي وسامر)

رواد الامين *

(تشرين أول)

كيف نتعافى؟
تسأل وجهها المنعكس في المرآة كل صباح.
بالنسيان؟
بالعمل أم بالاحتساب؟
تملأ إبريق الماء وتحمله صعوداً على الطريق الترابي المحفور وسط القرية.
على باب الدار الحجري القديم
تتدلى الجميلة و«تعربش» بين حجارته
وخلفه ركام البيت وسحابة خريفية وسط السماء.
تزهر الجميلة في تشرين من كل عام بألوانها الفرحة
تسأل نفسها مرة أخرى، كيف نتعافى؟!
ثم تنحني لتسقي ساق النبات المنغرس في الأرض
وتحدث نفسها
لا يتعافى الجرح مع الزمن بل يندمل
تخبئه الجميلة بين طياتها وتزهر
هذا صنع الله، ما أجمله!!

شمس

-أتشرق الشمس في منتصف الليل؟
- لماذا هذا السؤال الغريب يا علي؟
هكذا تقول الرواية، يجيب.
أصحح له، الرواية تقول إن الشمس ستُشرق يوماً عند المغيب
يبتسم فيسطع نور من عينيه كشهب المساء
- هذا اسمي على الهوية، وهذا الرسم على يدي
هذا الضوء من عيني ومن ثغري وهذا إرثي من جدي
مسدس اثري شبه معطل أكله الصدأ، أصلحته واقتنيته منذ الصغر، وهذا صوتي يصدح بما أؤمن،
والعلم؟ نورٌ نسعى إليه نداوي به أجباءنا،
والفن يا علي؟ رسالة وذاكرة تبلسم الجروح
والشوق؟ لا شفاء منه سوى اللقاء
إذن، كيف كان اللقاء مع الأحبة؟
كنسمة خريف وأول المطر، وسهرة عائلية وسط الدار
كشمس أشرقت منتصف الليل، أضاءت لي الطريق فعبرت.

ماء

ما أكثر الماء وما أقل الرواة...
يُحكى في أساطير الأولين، وهي حكايات تحتمل الخطأ والصواب بعكس حقيقتك المشرقة...
أن ماء رأس العين أُخرجت للناس بأمر من سليمان
وأن حوت موسى عاد إلى الحياة على شاطئها
وأن المسيح مر بها وشرب من مائها وارتوى
وأن الفينيق والرومان سقوا منها المدن والقرى
وأن الماء فيها صافٍ كقلوب المحبين
وأن خدمة الناس مفتاح باب الجنة
والحقيقة واضحة كعين الشمس لا لبس فيها ولا حياء
وحين تهوي النار على الآمنين
يكون الماء مفتاح الشجاعة ودواء المتعبين
اسقهم أيها الصافي، أخرج قرابينك
امدد يديك نحو السماء وابتسم،
ما أكثر الماء وما أقل السقاة يا مختار.

* لبنان

هوية الشهيد الدكتور علي شمس الدين وجدت بين الركام في مكان استشهاده

جدارية امام كهرباء لبنان (بحديقة خواه شورا ـ 2021)

قصائد

سيعـــود

(الى زياد الرحباني)

باسم عباس *

لِزيادْ
للعمرِ المتوهّجِ في حقلِ رمادْ
للقلبِ الأبيضِ ممتلئاً حُبّاً
لا يعرفُ شكلَ الأحقادْ
لِلّحنِ المجبولِ بإحساسٍ ينابيعِ الأرضِ
ستولدُ أقمارٌ وشموسٌ وبلادْ

■■■

لِزيادْ
للطفلِ السبعينيّ الساطعِ نُوراً
في وطنٍ زرعوهُ قهراً وسوادْ
للنبضِ المتمرّدِ
لا طائفةً تأسِرُهُ
لا مذهبَ يخطفُهُ
لا دينٌ يصادرُ حرّيّتَهُ
لا مالٌ يغريهِ

لا جاهٌ يُغويهِ
سيُغنّي التاريخُ
قصائدَ عابقةً بالأمجادْ

■■■

للوترِ المجروحْ
لصهيلِ الروحْ
ستظلُّ سماواتُ العشقِ الأسمى
تَتْلو في أذنِ الدنيا أدْعيةً
لِتُبلسمَ جرحَ الوطنِ المفتوحْ
وطيورُ الدهشةِ
- رغمَ دخانِ العمرِ-
ستبقى تأتي وتروحْ
حاملةً بمناقيرِ اللوعةِ
أعشاباً لتغطّي
عنقَ الفجرِ المذبوحْ
سنرى أسرابَ سنونو
تتوضّأ بالشمسِ
تُؤذّنُ ثمّ تُصلّي
ليعودَ زيادْ

لكنَّ زياداً يربطُ عَوْدتَهُ
بِخُلُوِّ الوطنِ الموجوعِ
مِنَ الأوغادْ

■■■

للحزنِ المغشوشبِ
في ذاكرةِ الزمنِ المُلتاعْ
للبحرِ المنسيّ
وشاطئِهِ سِفْرِ الإبداعْ
ستُهزَلُ أنهارْ
كي تمحوَ عنْ جسدِ الموجِ
لهيبَ الأوجاعْ

■■■

للصمتِ المتوثّبِ في عينيهِ مثلَ أسودْ
تُصغي أمطارٌ وبُروقٌ ورعودْ
وتجيءُ فراشاتُ الدنيا
ترقصُ حول سراجِ الحلمِ الموعودْ
وتُغنّي: سَيَعُودْ... سَيَعُودْ

* لبنان

(رامي قانصوه)

أنطولوجيا

النساء الفيلسوفات في مواجهة التهميش والإقصاء

يفتح «أنطولوجيا النساء الفيلسوفات» (دار أوغاريت ـ دمشق) ثغرة في جدار التاريخ الفلسفي الذكوري عبر استعادة حضور النساء الفيلسوفات وإبراز أدوارهن المغيّبة. يكشف يحيى زيدو آليات الإقصاء التي حوّلت المرأة إلى ظلّ، ويعيد الاعتبار لإسهاماتهن في بناء الفكر الإنساني، مقدّماً قراءة منصفة تعيد تشكيل الذاكرة الفلسفية

بديع صنيج

يسعى الباحث السوري يحيى زيدو في كتابه «أنطولوجيا النساء الفيلسوفات: دور المرأة في تاريخ الفكر الفلسفي» (دار أوغاريت ـ دمشق) إلى قلب الطاولة على تاريخ الفلسفة، الذي بقيت الريادة فيه حكراً على الرجال.

أيديولوجيا إقصاء النساء

يفضح الأيديولوجيا التي اقصت النساء عن ميادين «محبّة الحكمة»، معلناً الحرب على التعتيم الذي جعل الفيلسوفات ظلالاً في الهامش، بحيث يجسد هذا البحث وثيقة اتهام ضد التقليد الذي استثمر في تغييبهن، رغم أنّ كثيرات منهن كُنّ معلمات لأشهر الفلاسفة، وأفكارهن تحوّلت لاحقاً إلى أعمدة المذاهب الفلسفية الكبرى. لذا، يطالب زيدو بإعادة الاعتبار إليهنّ، ويصرّ على أنّ الفلسفة ليست ميراثاً ذكورياً، بل مشروع إنساني مشترك.

انطلاقاً من ذلك، فإنّ هذا الكتاب يعدّ بمنزلة مشروع لتصحيح الذاكرة الفلسفية، إذ يؤكد على أنّ غياب أسماء النساء من سجلات الشهرة ليس دليلاً على انعدام وجودهن أو ضحالة فكرهن، بل هو نتاج آلية قمع تاريخية وثقافية عملت على إبقاء «الفيلسوف» صفة ملازمة لـ «الرجل» وحده. وبذلك، فإنّ «أنطولوجيا النساء الفيلسوفات» يفتح الباب أمام قراءة جديدة لتاريخ الفلسفة، أكثر إنصافاً وشمولية، تُعيد الروح إلى الجسد الكلي للفلسفة بعد عقود من البتر المتعمد لجزء أصيل من كيانه.

فلاسفة قلّلوا من شأن المرأة

يستعرض زيدو آراء الفلاسفة الذين قلّلوا من شأن المرأة، ويذكر أن أول تعبير في تاريخ الفلسفة حول ذلك يعود إلى سقراط حين قال: «إن النساء يُولَدْنَ الأجساد، أما الفلاسفة فيولَدن الأرواح».

أما أرسطو، فجعل المرأة في مرتبة أدنى من الرجل وفقاً لفهمه الميتافيزيقي للتراتبية الاجتماعية والسياسية التي تفرضها طبيعة الإنسان وقدراته.

وفي التراث اليهودي المسيحي، تستمر النظرة الدونية للمرأة بدءاً من الفصل الثاني في سفر التكوين حين سلّط الله آدم على جميع المخلوقات، وخلق حواء من ضلعه. هذه الرواية تُشكّل «قاعدة لتفوق الرجل الذي سيُعمّده بولس في العهد الجديد في رسائله الشهيرة بعدائيتها للمرأة، رغم أن موقف السيد المسيح من المرأة كان أكثر نضجاً من موقف أتباعه، فلا أي نظرة دونية للمرأة ولا تفرقة» وفقاً للمؤلف.

وظلّت التفرقة الفلسفية موجودة حتى جاء ديكارت وأوضح أنّ العقل لا جنس له، وهناك الفيلسوف العربي ابن رشد الذي تجاوز النظرة الدونية للمرأة. ومع ذلك، ظلّ كانط يعتبر أن النساء لسن مصنوعات للتفكير لأنهنّ أكثر اتكالاً على الحدس من العقل، بينما أكّد روسو طغيان الهوية الجنسية على المرأة فقط، فهي تريد الرجل وبحاجة إليه، بينما هو يريد المرأة، لكنه ليس بحاجة إليها.

أما الفيلسوف الألماني هيغل، فيرى أنّ النساء قادرات على التعلم، لكنّهن غير قادرات على الفلسفة، في حين يعتبر الدنماركي سورين كيركيغارد المرأة نكتةً لأنها تعتقد أنه بإمكانها الوصول إلى المثالي. ويبقى للألمانيين أرثر شوبنهاور وفريدريش نيتشه الحصة الأكبر في مجال الميزوجينية (العداء للمرأة)، فالأول يرى أن المرأة ذات عقل أكثر ضعفاً وأقل قدرة على فهم المبادئ، أما الثاني فله مقولة شهيرة على لسان شخصية زرادشت «إذا ذهبت إلى المرأة فلا تنس السوط».

فلسفة شبه مستحيلة

وفي مواجهة كل ذاك العداء، أدركت النساء في ستينيات وسبعينيات القرن المنصرم أنّ المشكلة تنبثق من صميم تصوُّر الرجل الذكوري البطريركي الذي يُعارض التفكير الفلسفي المبني على الحدس الأنثوي الحصيّ على كل أمساك منطقي، ذلك أنّ الفلسفة، في التصور السائد، شأن ذكوري عقلاني منطقي يناقض كل ضروب الشفقية والأنفعالية الوجدانية الأنثوية. وبذلك، تصبح الفلسفة النسائية شبه مستحيلة، إذ تنطوي على تناقض داخلي بين دعوة الفلسفة وخصوصية المرأة. لذلك كان لا بد من مناهضة ذاك التصور المتطرف، والمناداة بضرورة تعديل بنية التفكير الفلسفي حتى يستطيع أن يستقبل إسهامات المرأة الفلسفية بما يفضي في نهاية المطاف إلى تغيير هوية الفلسفة.

أسست رابعة العدوية فلسفة الحب الإلهي الخالص

وخلاصة القول كما يراها الباحث زيدو إن «التاريخ الذكوري للفلسفة لا يمكن أن يحجب مساهمة المرأة في تطور الفلسفة المبكرة، فقد لعبت نساء فيلسوفات دوراً مهماً في هذا السياق، صحيح أن إسهام المرأة في تاريخ الفلسفة لم يكن كبيراً، لكنه يثبت قدرة المرأة على التفلسف حين تتاح لها فرصة مساوية للرجل. لكن للأسف، فإن وجهة نظر أرسطو في تفوق الرجل على المرأة من الناحية العقلية هي التي سادت، وهي الفكرة التي تلقّفتها أوروبا في العصور الوسطى، وصاغت عليها تصوُّراتها الأنثروبولوجية التي تم بها تدجين عقول الرجال والنساء معاً، فالمرأة وفقاً لتلك التصورات كائن لا عقلاني، عاطفي، مزيّن بذكاء وجداني يخالف المنطق العقلاني الحسابي القائم على معادلات الأشياء وتناسب المعاني وتلازم الإسنادات المألوفة بين الوقائع والدلائل».

أكثر من خمسين فيلسوفة

يستعرض الكتاب حياة وأفكار وأعمال الكثير من الفيلسوفات من فترات زمنية مختلفة، ابتداءً من الفلسفات القديمة الهندية والصينية واليونانية والرومانية، مروراً بفلسفة العصر الوسيط، ثم الفلسفة الإسلامية، فالفلسفة الحديثة والمعاصرة، ولعل أبرز ما يميز منهج زيدو في ذلك هو جمعه بين التحليل التاريخي والقراءة الفلسفية المقارنة، ساعياً إلى الإجابة عن سؤال: هل للمرأة طريقة مغايرة في التفكير الفلسفي؟

في سبيل ذلك، نراه يكتب عن ديوتيما المانتينية مُعلّمة الحب لسقراط. رغم عدم وجود كتابات مُباشرة لها، إلا أن تأثيرها موثق عبر حوار «المأدبة» لأفلاطون وفيه وضعها في موقع مُعلّمة سقراط في نظرية الحب، الذي لا تعتبره مجرد عاطفة، بل صعود تدريجي من جمال الأجساد إلى جمال الأرواح، وصولاً إلى الجمال المطلق، وهو أعلى مستويات المعرفة والخير. هذا المفهوم هو أساس الحب الأفلاطوني الذي شكّل ركناً أساسياً في الفلسفة الغربية، ما يثبت أن امرأة هي مصدر معاً، فالمرأة وفقاً لتلك التصورات كائن أفكار هيباتيا السكندرية التي دافعت عن حرية الفكر، وراث أنّ العقل وسيلة لفهم النظام الكوني، وكانت أول امرأة معروفة في التاريخ تُعلّم الفلسفة والرياضيات بشكل علني ورسمي في مدرسة الإسكندرية. ولم تكتف بتفسير أعمال الأفلاطونية الحديثة لأفلوطين فقط، بل كانت رائدة أيضاً في مجالات العلوم التطبيقية، إذ طوّرت أدوات فلكية ورياضية مثل الأسطرلاب، ما جعل أثرها كبيراً في جيل كامل من طلابها الذكور، وأثبتت قدرة المرأة على قيادة المراكز المعرفية، ما جعلها رمزاً لتداخل الفلسفة والعلوم. ومن الفيلسوفات المميزات اللواتي تناولهن الكتاب جوليا دومنا ابنة حمص، واشتهرت بحلقاتها الفكرية التي جمعت فلاسفة الرواقيين والأفلاطونيين الجدد، وكانت ترى أنّ الحكمة لا تُجزَّأ بين رجل وامرأة. لذا دافعت عن ضرورة أن تكون المرأة شريكة في المعرفة والسياسة.

حجر الزاوية

ويتوقف المؤلف عند حنّة أرندت مُنظّرة الشر والعمل السياسي، التي تُعدّ واحدة من أهم الفلاسفة السياسيين في القرن العشرين. تمحورت أبرز آرائها حول تحليل الظواهر الكارثية مثل الشمولية. قدمت مفهومها الرائد «تفاهة الشر»، مُفسرة كيف يُمكن للأفراد العاديين ارتكاب جرائم جماعية عبر التوقف عن التفكير والاعتماد على البيروقراطية. كما طوّرت نظرية «الوضع البشري» التي فصّلت فيها بين الحياة التأملية والعملية، وقدمت نقداً جذرياً لفلاسفة كبار، وفتحت مسارات جديدة للفكر الجمهوري والأخلاقي.

وهناك سيمون دو بوفوار التي تحظى بريادة مطلقة بفضل عملها المؤسس «الجنس الثاني»، الذي يُعدّ حجر الزاوية في الفلسفة النسوية الحديثة. وكان أبرز آرائها هو الطرح الوجودي بأن «المرأة لا تولد امرأة، بل تصير كذلك». استخدمت دو بوفوار أدوات الفلسفة الوجودية لتُحلل كيف يُنشئ المجتمع المرأة بوصفها «الآخر» بالنسبة إلى الرجل الذي يُنظر إليه على أنه «الذات»، وكيف تُحرم من تجاوز ذاتها وتحديد مصيرها. ورغم أنها أثرت في شريكها جان بول سارتر، لكن إسهاماتها الأهم هو تأسيسها لتيار فكري نسوي وجودي أثر في جميع مدارس النقد الاجتماعي والسياسي اللاحقة. وتتوسع دائرة النساء الفيلسوفات اللواتي تناولهن زيدو بالدراسة لتشمل رابعة العدوية التي أسست فلسفة الحب الإلهي الخالص، وروزا لوكسمبورغ صاحبة نظرية الإمبريالية والأسلوبية الخاصة في الممارسة الماركسية، وفيليبا روث فوت، وأميرة حلمي مطر التي وازنت بين التاريخ الفلسفي والتراث الجمالي وركّزت على الفلسفة السياسية وقضايا التحرر الإنساني، وفاطمة المرنيسي التي سخّرت آليات المعرفة المنهجية لتفكيك جذور الأنماط الاجتماعية التقليدية، بناءً على قراءة نقدية عميقة للتاريخ العربي والإسلامي...

إن الإضاءة على إسهامات فيلسوفات من بلدان وأزمنة مختلفة، جاءت في سياق يسعى إلى تصحيح المسار التاريخي، وإثبات أن الفلسفة دائماً ما كانت جهداً إنسانياً شاملاً وغير مقتصر على جنس واحد. لذلك، فإن هذا الكتاب ليس مجرد تاريخ لنساء اشتغلن في الفلسفة أو شغلنَهُنّ الفلسفة، بل هو بيان فلسفي ضد التهميش والاختزال، ودعوة إلى إعادة التفكير في معنى التفلسف ذاته.

لمحات

هدى سويد

يستعيد «عزف على أوتار مدينة» للكاتبة اللبنانية هدى سويد، الصادر عن «دار بيسان» ذاكرة بيروت في زمن الحرب الأهليّة اللبنانية، عبر نصوص تجمع بين التوثيق والوجدان. يضمّ العمل مقالات أدبية نشرتها الكاتبة في مجلات وصحف ثقافية في سنوات الحرب، أعادت صياغتها بعناية من دون أن تمسّ روحها الأصلية، ووزّعتها على فصلين هما «وجدانيّات» و«سرديّات». يستحضر النص مشاهد الحرب بكل ما فيها من قصف وتهجير وخوف وحنين، ويحوّل رموز الحياة اليومية مثل الباص والمعبر والقنّاص إلى شواهد على زمن العنف والانقسام. رغم سوداوية المرحلة، تسري بين السطور خيوط رقيقة من الحب والإنسانية، كأنها محاولة لالتقاط الضوء من قلب الدمار. كما يتضمّن الكتاب شهادات نقدية لكل من محمد فرحات وأحمد أصفهاني وأنطوان أبو زيد، وجميعهم من الأسماء البارزة في المشهد الثقافي اللبناني والعربي. هكذا يغدو الكتاب عزفاً أدبياً على ذاكرة مدينة جريحة، وشهادة إنسانية تحفظ نبض بيروت من النسيان.

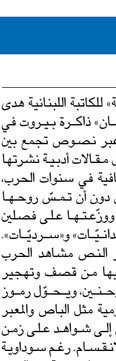

معين الطاهر ومنى عوض الله

يتتبع كتاب «مسارات صعبة: الحركة الوطنية الفلسطينية في سيرة صلاح خلف (أبو إياد) 1933-1971)» (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات) من تأليف الباحثَين الفلسطينيين معين الطاهر ومنى عوض الله، سيرة حياة صلاح خلف (أبو إياد) منذ نشأته في يافا وغزة حتى عام 1971، وتداخلها مع مسار الحركة الوطنية الفلسطينية. يُسلّط الكتاب الضوء على دوره المؤسّس في حركة «فتح» وصياغة نهجها السياسي والثوري، مستنداً إلى أرشيف واسع من التسجيلات والوثائق الشخصية، بما فيها مقابلاته مع الصحافي الفرنسي إريك رولو، ما يتيح قراءة مُعمّقة لتجربته ومسيرته السياسية. يبرز الكتاب شخصية أبو إياد بوصفه رجل المهمات السرية وكاتم الأسرار الجامع بين الواقعية السياسية والإيمان بالكفاح المسلح في سبيل تحقيق الدولة الفلسطينية المنشودة.

ريما بالي

تفتتح الكاتبة السورية ريما بالي روايتها «لم نأكل التفاح» (دار مسكيلياني) عالمها بحدث صادم: استيقاظ امرأة لتكتشف أن وجهها في المرآة لم يعد وجهها، وأنّ الذكريات التي تسكنها ليست سوى متاهة لماضٍ مسروق. هذا الاكتشاف يضع البطلة على حافة زلزال داخلي بين هويتين وعالمين، لتبدأ رحلة البحث المضطربة عن ذاتها الحقيقية وسط ذاكرة مهتزة وحاضر مربك. تنسج ريما بالي برهافة عميقة قصة هذه المرأة المكافحة، وفي الوقت ذاته، تفتح نافذة على وجع وطن لم يُشفَ بعد من جراحه. تتعمق الرواية في أسرار عائلة تتقاطع فيها الأجيال وتتوالى فيها الخيبات، حيث تغدو كل امرأة فيها ظلاً للأخرى وضحية لآلام مشتركة. عبر الإبحار في عوالم نفسية واجتماعية معقدة، تتخذ الكاتبة من لعبة التذكّر والنسيان إطاراً للسرد، فيما يتحول «التفاح» إلى رمز مركزي يتجاوز كونه ثمرة محرّمة.

أسامة علام

يطرح الكاتب المصري أسامة علام في روايته القصيرة «حامل مفتاح المدينة» (دار الشروق) سؤالاً محورياً وغرائبياً: ماذا لو امتلكت مفتاحاً يفتح كل الأبواب في مدينة نيويورك الصاخبة؟ تدور أحداث الرواية حول شهاب، وهو طبيب بيطري مصري وحيد يقاوم شعوره بالوحدة عن طريق التنقل المستمر بين الشقق في نيويورك. عندما يسكن شهاب في بيت جديد، يقع في يده مفتاح غامض، ويكتشف أنه مفتاح سحري يفتح له أي باب مغلق في المدينة. هذا الاكتشاف يمثل نقطة انطلاق لمغامرته الحقيقية، حيث يندفع إلى عوالم لا تخصّه ويختلط فيها الواقع بالخيال. تُقدم الرواية تجربة إنسانية رائعة، وتتسم بملحميتها المكثفة واحتضانها العطوف الجامع للحياة والأحياء. كما تتضمن صراعات اجتماعية وروى عميقة عن الحياة في المدينة الكبيرة، وتؤكد على الفكرة الجوهرية بأن حياة الإنسان لا معنى لها إلا بمرور الآخرين فيها.

رواية

أمير تاج السرّ يفكك «عورات» المجتمع السوداني

تغوص «عورة في الجوار» لأمير تاج السر في الطبقات الخفية للمجتمع السوداني، كاشفةً تناقضاته وتخلّفه الأخلاقي عبر حكايات الريف ولغته الساخرة السوداء. رواية تفضح العيوب المستترة وتعرّي البُنى الاجتماعية المتخلّفة لتقدّم نقداً لاذعاً لوعي جماعي يصنع عوراته بيده ثم ينكرها

فاطما خضر

بلغة مكثّفة سوداء وفكاهة لاذعة، وجُمل قصيرة متلاحقة، وسرد يقترب أحياناً من الواقعية النقدية وتارةً من الرمزية الساخرة، يُشرّح الطبيب والروائي السوداني أمير تاج السر، في روايته «عورة في الجوار» (هاشيت أنطوان - نوفل)، جسد المجتمع السوداني، كاشفاً عن العلل الكامنة في بنيته العميقة من تخلّف، وجهل، وعورات ليس بمعناها الاصطلاحي (ما يجب ستره من جسم الإنسان)، بل بوصفها بُنى اجتماعية.

من هو صاحب العورة الحقيقية؟

من هذه النقطة الأخيرة، يمكن فهم عنوان الرواية، وفهم الثيمة المركزية فيه وفي الرواية ككل: «العورة». إذ يتعامل تاج السر مع العورة على امتداد الرواية، على أنها الخطيئة المستترة، والعيب الاجتماعي الذي يهدّد زعزعة الصورة النمطية الطاهرة التي يريد المجتمع تقديمها عن نفسه، رغم أنّ صورته الحقيقية مشوّهة من كثرة العيوب.

تطرح الرواية بذلك أسئلةً محوريّةً: من هو صاحب العورة الحقيقية؟ هل هو من يحمل سمةً مختلفةً وسط مجتمع ما؟ أم من يحمل خطيئةً ما؟ أم المجتمع نفسه الموشوم بالنقص والمحكوم بالتخلّف؟

أمّا «الجوار»، فهو ليس مجرّد حيّز جغرافي، بل هو فضاء العلاقات المتشابكة في الواقع السوداني الذي يُشكّل خلفية الرواية، حيث تذوب الحدود بين الخاص والعام، وتكون المراقبة الاجتماعية في أقصى درجاتها.

تغدو بذلك الرواية كتالوغاً، يستعرض تاج السر عبره نقداً لاذعاً للازدواجية الأخلاقية والنفاق الاجتماعي، حيث يمارس الأفراد قمعاً شديداً في العلن بينما يعيشون حياةً أخرى في الخفاء.

زمن ما بعد الاستعمار البريطاني

لا تُحدّد الرواية حقبةً زمنيةً بعينها تنتمي إليها المجريات، ولكنّها تدور في زمن معاصر، مانّع، في زمن ما بعد 1956، حيث ما تزال البنى الاجتماعية التقليدية هي السائدة، رغم تغيّر الأنماط الظاهرية للحياة. وقد يكون ذلك اختياراً مقصوداً من الراوي، يتناسب تماماً مع العبث المرافق لأحداث لا تبدو أفقيّة وتسلسليّة ومباشرة، بقدر ما تبدو صوراً سريعةً تعكس نمط الحياة المتخلّف في الريف السوداني. رغم انتقال الريف - كما أبنائه - إلى عصر الحداثة، عبر التأثيرات الثقافيّة المستورة من الخارج، التي تصل إلى الريف من المدن (كفرق الصرعات الموسيقية، وأحدث الأغاني، وموضة الهيبيز، وتحرّر الفتيات، وأحدث تسريحات الشَّعر، وآخر العطور... وما يشابهها)؛ لكن يبقى المجتمع السوداني ككل (ريفاً ومدينةً) قابعاً في قوقعة الجهل، يُعاني من سيادة التقاليد البالية والأعراف المتوارثة بدل القانون والمنطق، لأنّ ذاك الانتقال لم يكن مقترناً بنهضة علمية وحضارية، بل كان قائماً على الاستهلاك الثقافي السلبي المستورد مع التمسّك بالجهل والموروث.

تعرّج الرواية على أحداث تاريخيّة كالانقلابات العسكريّة والحروب

العاشق المجنون وقصص الريف

يُعدّ الحدث الأبرز في الرواية، لحظة وقوع سعيد الورّاق، الذي تعدّدت ألقابه وسط بيئة تشتهر بإطلاق الألقاب الساخرة على الآخرين، ولكل لقب من ألقابه حكاية: «تيس سليمان» و«قائد أركان الهمج» و«مهراجا العشق والجنون»، وأشهرها «كلب الحر»؛ في غرام «الرمّانة العوض الطيب»، ابنة المدينة الجميلة التي انتقلت إلى الحياة في الريف بعد زواجها من المهرّج «هارون مسلّم». يجسد في هذه اللحظة ما كتبه أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته «يا جارة الوادي»، وغنّته السيّدة فيروز: «وتعطّلت لغة الكلام وخاطبت عيني في لغة الهوى عيناك». منذ رآها تعطّل عقله تماماً، وتحوّل في لحظةٍ إلى عاشق مجنون تابعها أوّلاً بنظراته، ثمّ بساقيه بعدما تركَ شاحنته في السوق، فعرف بيتها وأنّه جيء بها من العاصمة حديثاً، بعد زواجها بأحد أبناء البلدة. بعدها، جاء بشاحنته، وأوقفها أمام بيتها، ورقد تحتها منقطعاً عن الدنيا كلّها خمسة عشر عاماً. تمثّل هذه الحادثة العورة المكشوفة طوال خمسة وعشرين عاماً، ومختلف الخطايا التي ينكرها الجميع. عورة أصبحت الشُّغل الشاغل للجميع، وغُطّت على شتى العيوب والنقائص بما فيها التخلّف والجهل، التي حكمت الجميع دون أدنى التفاتة منهم سوى لعورة مهراجا العشق والجنون.

تترافق هذه الحادثة الجوهرية في السرد، مع قصص أخرى من الريف السوداني، نجح تاج السر عبرها في إظهار الملامح العامّة والعادات الاجتماعية التي تسوده، من دون أدنى تجميل: النميمة، وإطلاق الألقاب كجزء مهم من الموروث القوميّ للبلاد، وإشاعة الفضائح، والكبت الجنسي، ونسوة مختصّات في تدبير الزيجات، وتزويج الفتيات ما إن يصلن سن البلوغ، واعتبار الزواج الدواء المناسب كي لا يصبن بالعشق، والحسد، والوقاحة كصفة يُفاخرون بها، وهتك الخصوصيّات، والسحر والشعوذة، والفتن اليومية، والنزق والغضب، بيئة فقيرة، وتفاوت طبقي هائل واقتتال قبلي على أتفه الأسباب، وتقديس المسؤولين، والوصول إلى السلطة بطرق متخلّفة وصادمة (مثل سليمان مختار عقارب الذي وصل إلى مجلس الشعب بضربة فأس قوية بترت شجرة خصمه) وغيرها من ملامح الجهل والتخلّف...

أدب الأنزياح

هكذا قدّم تاج السر شخصيّات اجتماعيّة، وسياسيّة، ودينيّة من قلب الواقع السوداني، معرّياً حقيقتها المتخلّفة والجاهلة في سرد امتزج بالفكاهة السوداء، ومعرّجاً على أحداث تاريخيّة كالوقائع والانقلابات العسكريّة، والحروب ضدّ المستعمر البريطاني، والثورة المهديّة بقيادة المهدي محمد أحمد بن عبد الله بن فحل، وغيرها... يقدّم بذلك روايته التي تتجلّى أهميتها في جرأتها على طرح الممنوعات الاجتماعية التي تظل عادة حبيسة الصمت. يضع بذلك روايته في سياق أدب الانزياح الذي يفتح ملفات مغلقة، من دون الانشغال المباشر في الهموم السياسية والقضايا الوجودية الكبرى، واضعاً ثيمة العورة الاجتماعية تحت مجهره السردي، في محاولة جريئة منه لقلب الطاولة على الخطاب الأخلاقي السائد.

سعيد خطيبي: تاريخ الجزائر من جسد امرأة مقهورة

يكشف سعيد خطيبي في «أغالب مجرى النهر» تاريخ الجزائر من زاوية غير مألوفة، جسد امرأة يُصبح مرآة لخراب مابعد الاستعمار. عبر مقبلة تومي، الطبيبة الأسيرة، تتحوّل الرواية إلى قصيدة نثر مظلمة ورثاء صامت للمهمّشين، وتعرية لسلطةٍ تُعيد إنتاج القهر جيلاً بعد جيل

سلوى دبوق

في روايته «أغالب مجرى النهر» (هاشيت ـ أنطوان)، يغوص الروائي الجزائري سعيد خطيبي في أعماق الواقع الجزائري ما بعد الاستعمار، لا عبر التاريخ الرسمي وملاحمه، بل عبر شظايا جسد امرأة: عقبلة تومي، الطبيبة العيون التي تتحوّل من مانحة للبصر إلى أسيرة في محبس ضيق. لا تقدّم الرواية قصة بوليسية بقدر ما تقدّم قصيدة نثر مظلمة، ورثاءً صامتاً للإنسان المُهمّش، ونقداً لاذعاً لبُنى السلطة الأبوية والتاريخ الرسمي الذي يتنكّر لضحاياه. إنها رحلة إلى بؤرة البؤس، حيث يصبح الجسد الأنثوي ساحة الصراع الأولى، والذاكرة غربال الزمن، والمقاومة فعل «مغالبة» في وجه تيار جارف من القهر.

الطبيبة التي أغالب الموت لتُعيد الحياة والبصر

تتجلى مركزية الجسد منذ الصفحات الأولى، فالرواية لا تبدأ بحدث، بل بفضاء: «المكان، الذي لا تتعدى مساحته خمس خطوات طولاً ومثلها عرضاً». هذا المحبس ليس مجرد إطار جغرافي، بل امتداد نفسي لجسد عقبلة المُحاصَر. إنه كيان ينتفس بالرطوبة والرائحة الزنخة، ويعكس حالة داخلية من الاختناق.

في هذا الفضاء، يتحول جسدها إلى أداة مقاومة صامتة. رفضها للازرّ الذي «تمرح فيه نملتان» ليس مجرد امتناع عن الطعام، بل تمرّد بيولوجي ورمزي ضد إنسانية انتُزعت منها. إنها ترفض أن تُطعم كالبهيمة، محافظةً على ما تبقى من كرامتها في عالم يريد تحويلها إلى مجرد رقم في ملف. وعندما تُجبر على التجرد من ثيابها أمام الشرطية، تتجاوز عملية التفتيش كونها إجراءً أمنياً لتصبح اغتصاباً رمزياً للروح، وتأكيداً على سلطة نظام أبوي يسعى إلى تجريدها من هويتها قبل حريتها.

هذا الجسد، الذي يُسجن ويُهان في الماضي والحاضر، يمتلك سلطة المعرفة والشفاء، فعقبلة تقتلع قرنيتَي الميّت ببرودة الميكانيكي، لتزرعانهما في عيون المرضى. هذا التناقض يشكل جوهر شخصيتها ويمنح الرواية قوتها: فهي تسرق من الموت لتُهب الحياة، متحدّيةً القوانين الطبية والأخلاقية والدينية التي تُحرّم المساس بجسد الميت. بهذا الفعل، تصبح عقبلة «تُغالب مجرى النهر» ليس فقط بقوة إرادتها، بل أيضاً بمهنتها التي تمنحها سلطة في عالم يحاول سلب كل شيء منها.

وجوه القهر الثلاثة: الزوج، الدولة، والذاكرة

تُدرك عقبلة أنّها محاصرة داخل شبكة من بُنى السلطة التي تكشف الرواية زيفها وهشاشتها. أبرز هذه السلطات هو الزوج، مخلوف، نموذج الذكورة المستبدة؛ فهو ليس مجرد زوج عنيف، بل طبيب شرعي ذو شخصية مزدوجة مرعبة: في العلن، يُمثل سلطة الدولة والقانون ويخضع عند رؤية الجثث. أما في البيت، فيصبح طاغية لا يتردد في أن يبصق على جبهة زوجته ويصفعها قائلاً «أضربك من أجل مصلحتك». علاقته بالجثث تكشف عن رهبة دينية لم تمنعه من استغلال مهنته للربح المادي مُشجعاً زوجته على اقتلاع قرنيات الموتى ليبيعها ويقبض ثلاثة أرباع ثمنها. إلى جانبه، يقف المحقق جمال درقين، وجه الدولة الآلي والمتعالي، الذي يتركز اهتمامه على استخراج الاعترافات وتدوين الحقائق بلا أي تعاطف. إنه بيروقراطي بارد يختزل كرامة عقيلة في ملف، ويمرّ على ألمها مرور الكرام، كما يظهر في قوله لها عن ابنتها: «أنصحك بمحو صورتها من بالك»، فتتجلّى هنا قسوته المطلقة وعدم مبالاته بمعاناة الآخرين. ضد هاتين السلطتين (الزوجية والأمنية)، تبرز شخصية الأب عزوز خالدي، كتجسيد للظلم التاريخي المتمنهج. رجل ناضل في حربين، العالمية الثانية وحرب التحرير تحت كنية «كرادة»، ليجد جزاءه حكماً بالخيانة (عمالة)، وشطباً من سجل المناضلين. هذا الاتهام الظالم، الذي رُسمت ملامحه بالتعذيب على ظهره، حوّله إلى منبوذ في مجتمعه، يعيش في سجن خفي من العار خشية اكتشاف الناس لهذا الماضي. أمله الوحيد في استعادة اعتباره كان معلقاً بصديقه القديم، الصحافي الشهير بودو، الشاهد الوحيد الذي يمكن أن يروي حقيقته للعالم عبر التلفزيون، ويُخرجه من قبره الرمزي. لكن موت بودو في حادث سير وهو في طريقه إلى «بوسعادة» لم يكن مجرد حادث عابر، بل كان إغلاقاً نهائياً الملف عزوز، وتأكيداً على أن حكايته سُتدفن إلى الأبد، وأن وصمة العار ستصبح إرثاً أبدياً.

نقد لاذع لبُنى السلطة الأبوية والتاريخ الرسمي

يُشكّل ميلود وريمة في «أغالب مجرى النهر» ثنائية رمزية تختصر تاريخ العائلة وصيرها. فميلود المُمرّض، شقيق عقيلة الصامت، خرج من تجربة السجن بوقار مصطنع وجرح دفين، لكنه يحمل سراً ثقيلاً: هو الآخر البيولوجي لريمة من علاقة غير شرعية لم تُكشف بَعد. صمته ليس ضعفاً، بل قناع يخفي تحته عبء السرّ، وعار عائلي يُهدد التوازن الهشّ الذي تقوم عليه الأسرة. إنه «الابن الجريح» الذي يحمل خطايا الآباء ويعيد إنتاجها في صمت، رابطاً بين عالم الطب والعلانية الذي تُمثله عقيلة، وعالم الغموض والذنوب الذي ترمز إليه دار «بابا ياقوت». أما ريمة، فهي ثمرة هذا الماضي السري، تجسيد حيّ لما طُمر في الذاكرة الجماعية للأسرة. تبدو بريئة في ظاهرها، لكن براءتها تخفي مأساة مزدوجة: فهي ضحية العلاقة العابرة التي أفرزتها، وضحية حاضر قاس يهددها بالنبذ. حملها غير المرغوب فيه من مخلوف (زوج عقيلة) يعيد تكرار الخطيئة الأصلية في شكل جديد، ويجعل منها مرآة مأساوية لتاريخ يتكرر بلا خلاص. يكتسب لجوؤها إلى عقيلة طلباً للمساعدة الطبية بُعداً رمزياً عميقاً، إذ تلتقي — من دون علمها — بعمّتها، في مفارقة قدرية تكشف استحالة الانفصال بين الأجيال واستمرار تسرّب الماضي إلى الحاضر. في ضوء ذلك، يصبح ميلود وريمة أكثر من شخصيتين ثانويتين؛ إنهما محرّكا الحقيقة، يعرّيان البنية الأخلاقية الهشّة التي تتخفّى خلف مظاهر الاحترام الاجتماعي.

تتفاعل الرواية مع التاريخ كجرح نازف، والذاكرة كغربال. تُجسّد شهلة البرق، المناضلة السابقة، الوجه القاسي للثورة التي لا تعرف التسامح. اتهامها لعزوز بالخيانة لأنه رفض تفجير مقهى أخيه يختزل منطقها الثنائي: إما بطل أو خائن. عنفها الثوري القديم هو ما ولّد العنف اللاحق في جيل مخلوف، وانتج دائرة لا تنتهي من القهر. كذلك اتهامها لعقيلة بأنها «أرادت أن تعميها» هو محاولة يائسة لممارسة سلطتها القديمة عبر القانون، مستخدمةً موقعها الرمزي كبطلة منسية (لكن موقّرة) لمعاقبة عقيلة، خصوصاً بعدما فشلت عملية زرع القرنية المسروقة. إنها ترفض أن تموت كبطلة منسية، فتصبح شبحاً نشطاً يُسمّم الحاضر. تؤكد الرواية عبرها أنّ الذاكرة التي لا تسامح يمكن أن تكون أكثر تدميراً من النسيان نفسه.

جوقة الحكايات: تعدد الأصوات ومرونة الزمن

صاغ سعيد خطيبي عالمه السردي كأنّه مرآة مكسورة، تتناثر فيها الأصوات والزمن والذاكرة في شظايا لامعة. تتناوب عقيلة، وعزوز، والمحقّق على الكلام، فيغدو النصّ أشبه بجوقة تتقاطع فيها الاعترافات والهلوسات والذكريات، بلا صوت يملك الحقيقة كاملة. يمارس الكاتب اللعب بالزمن كأنه يُعيد ترتيب حلم مضطرب، فتتداخل الأزمنة، وتتماهى الذاكرة بالحاضر، في انسياب يعكس هشاشة النفس وتشبّثها بما كان. أما التفاصيل الحسّية، فهي نبض الرواية الخفي: رائحة الزنزانة، وبرودة الجدران، وطعم الخوف في فم عقيلة، تفاصيل تُعيد للقارئ معنى الألم وتحوّله إلى تجربة ملموسة. بهذا المزج البديع بين الأصوات، والذاكرة، والجسد، يصوغ خطيبي نصاً دراماً بامتياز، يلتقط ارتجافات الفرد في مرايا التاريخ، ويجعل من السرد رحلة في أعماق الحقيقة المراوغة والهوية الجريحة.

في الختام، «أغالب مجرى النهر» ليست مجرد رواية عن امرأة خائفة ووالد مضطهد، بل هي عمل أدبي جريء ومُعقّد، يصرخ بصوت هادئ وقاطع ضد كل أشكال القهر. إنها تترك القارئ مع أسئلة مؤرقة حول العدالة، والحرية، والهوية في مجتمع لا يزال يعاني من صدمات الماضي. سعيد خطيبي لا يكتب رواية واقعية، بل يكتب نصاً مُكثفاً وشعرياً، حيث يتحوّل الألم اليومي إلى مادة أدبية راقية، وتصبح مقاومة امرأة واحدة في محبس رمزاً لصراع الإنسان الأبدي من أجل الحفاظ على كرامته.

مرآة الغرب

كليمان سينيشال مفكّر مذهل. الفرنسيّ المتخصص في قضايا البيئة والناطق السابق لمنظمة «غرين بيس». منظّر ماركسي خطير. يقتحم الغابة الرأسمالية كحطاب متمرّس وفي جعبته فأس مسنون: أدوات تحليلٍ مادية، ومنهج جدليّ صارم. بفأسه هذا، يقطّع سينيشال اليباس الذي خلفته الرأسمالية ويحنّ على تشجير الأرض المحروقة

كليمان سينيشال
الإيكولوجيا الثورية خلاصنا

بول مخلوف

فيلسوف الإيكولوجيا الماركسيّ

لا ضير من وصفه بفيلسوف الإيكولوجيا الماركسيّ. مقاربته للعالم الرأسماليّ تنطلق من البيئة. يرى أن تدمير الطبيعة واستغلالها امتداد للاستغلال الطبقيّ؛ ويجزم، هو الذي كان ناطقاً في السابق لمنظمة «غرين بيس»، بأنّ المنظمات البيئية وحركات «الناشطية» (Activism) ليست سوى جهاز بيروقراطي يخدم الاستقرار الاجتماعي الذي أفرزته الرأسمالية وليس سلامة الكوكب الذي يحملون قضيته.

مشروعه الماركسي صرح ضخم، مفتاحه هو إعادة تأصيل الصراع الطبقي -بعدما اقتطع- في الحيز الإيكولوجيّ. انطلاقاً من سؤال لينين «ما العمل؟» يتمسّك بـ«البراكسيس» (دمج النظرية مع التطبيق) كطريق ثوريّ. إنّ «العمل» يبدأ بالتحريض نحو «إيكولوجيا الصراع الطبقي»، أي الانخراط الفاعل في مواجهة الهيمنة الطبقية التي تسود الخطاب البيئي، ودحض الأيديولوجيا المهيمنة. فالإيكولوجيا عنده مشروع تحرري شامل، غير أنّ هذا المشروع لا يبدأ قبل استعادة المضمون السياسي الذي فقد منه. من هذه النقطة، يذكرنا قليلاً بنعومي كلاين، المنظّرة الكندية صاحبة نظرية «عقيدة الصدمة» التي عرّت في كتابها «رأسمالية الكوارث» المنظمات البيئية التي تتغذى من الكارثة الناجمة عن الرأسمالية وتتذرَّع بأنها المنقذة فيما يقتصر عملها على تنظيف مسرح الجريمة وتحويله إلى مشروع ربحيّ جديد. كتابه الجديد «لماذا تخسر الإيكولوجيا دائماً؟» أزعج التيار البيئي إلى حدّ اتهامه بـ«الهدّام» و«المتواطئ» مع اليمين الفرنسي. خزعبلات لا تصمد أمام كاتب دائماً ما أصرّ على أنّ الإيكولوجيا، كمشروع تحرري، يقترن بالضرورة بعملٍ ثوري وجماعيّ ولا يخرج من صالونات النخب الوسطية والليبرالية المترفة.

ما يعني كليمان سينيشال بالدرجة الأولى، هو المجال/ الحيّز الماديّ الذي يَشغل الناس الذين يشتَغلون فيه، أي القاعدة الاقتصادية للمجتمع أو ما تطلق عليه الماركسية مصطلح «البنية التحتية». إنّ الايكولوجيا مسألة صراع يبدأ «من تحت»، من أسفل الهرم في المجتمع ويقوده العمال والمناضلون. هناك علاقات اجتماعية وجب خلخلتها وتجريدها من القوة وتهشيمها. هناك ظروف اقتصادية وشروط «موضوعية» وجب تغييرها لأن العالم لا تغيّره الأفكار والتصوّرات إنّما يتغيّر بقوّة العمل. هكذا، ينتقد سينيشال الأفكار الإنسانوية والدعوات الأخلاقية ويجزم بأنّ مستقبل الإيكولوجيا لا يمرّ عبر «البيئيّة» كمجال منفصل عن السياسة وتحركه النصائح و«الدعوات» الهجينة بل عبر الصراع الطبقي.

«مؤسسة بيئية»

باختصار، بدأ انحسار اليسار الثوري في الغرب في السبعينيات. هذا التقلّص فتح المجال لما يسميه سينيشال بـ«المؤسسية البيئية» حتى تهيمن على الإيكولوجيا وتسلبها مضمونها السياسي. لقد تجردت الإيكولوجيا من فاعليتها، من قدرتها على توجيه الاتهامات المباشرة، وتسمية الأسماء بمسمياتها، والانقلاب على البنية الرأسمالية، أي من قوتها على تغيير العالم. وفي تحوّلها إلى شأن منزوع من السياسة، غدت «أداة تمييز أخلاقي وهيمنة اجتماعية». فالإيكولوجيا التي كانت معنية بمعارك حول الطاقة النووية والمسائل العمالية والاجتماعية أصبحت معنية الآن بـ«حماية البيئة». على أنّ حمايتها للبيئة، كما يفترض سينيشال، هي حماية الخضار الطبيعي الذي يهم البرجوازية، وجميع منظمات حماية البيئة انحدرت من هذا المنظور: الطبيعة كديكور خارجي للمجتمع.

يشرح سينيشال التحوّل الذي طاول الإيكولوجيا ونقلها من كونها أداة ثورية إلى أداة هيمنة كما رست عليه كمؤسسة بيئية. ارتكزت «المؤسسية البيئية» التي سطت على الإيكولوجيا على أربعة عوامل: استبدال النشطاء بالعاملين المأجورين، وتفضيل الكوادر التقنية والتواصلية على المناضلين، وتوجهها نحو جمهور محدد، وصياغة خطاب بيئي قابل للذوبان في النيوليبرالية.

في خضم هذا التحوّل، غدت الإيكولوجيا «قطاعاً ربحياً»، فمن يقود قرارها ويهندس استراتيجيتها هي مجموعة من «الناشطين» والتكنوقراطيين الذين يبحثون عن أرباح اقتصادية ومكانة رمزية في النظام الرأسمالي.

جهاز برجوازي وعرض فرجوي

يقول سينيشال إنّ ما نراه اليوم ليس سوى إيكولوجيا استعراضية. نحن إزاء عرض أخلاقي للطبقات الميسورة، يعيد إنتاج الامتياز عبر لغة الإنقاذ الكوني. منظّمات مثل «غرين بيس» والصندوق العالمي للطبيعة صارت شركات علاقات عامة تحافظ على واجهة بيئية لنظام يستمر في النهب. التمويل يأتي من الشركات نفسها التي تنتج انبعاثات الغازات السامة والتلوّث البيئي. لقد فرّغت الإيكولوجيا من بُعدها الطبقي وأصبحت «فنّ إدارة الذنب»، أي تحويل القلق إلى استهلاك جديد. غدت الإيكولوجيا اليوم، بتعبيره، أشبه بدين علماني. المؤسسة البيئية تزودنا بإرشادات تقودنا إلى «التوبة الفردية» مثل إعادة التدوير، واقتناء سيارة كهربائية، والاستغناء عن البلاستيك، وتعفينا من التفكير في النظام الذي يدفعنا نحو هذه الأفعال.

أصبحت الإيكولوجيا سلعة سياسية وثقافية موجهة للطبقات العليا، تعالج قلق الشيخوخة، وهاجس نهاية العالم لدى جمهور ميسور مادياً أكثر مما تعبّر عن وعي جماعي بمصير الكوكب.

مشروع استعماري

استولت النخب والطبقات العليا على الإيكولوجيا وباتت تستغل الطبيعة مثلما يستغل أصحاب المصانع العمّال. يحكي سينيشال كيف أنّه تحت ذريعة حماية البيئة، تضمر «الإيكولوجيا المؤسسية» وجهاً استعمارياً يمارس طمس «الآخر» ويستغلّه. تحوّلت في كثير من مشاريع الحماية البيئية إلى صيغةٍ تسجن الأرض وتسجّل الناس خارجها: محميات تُعلن لإنقاذ الأنواع وتُقام عبر تهجير السكان الأصليين، ومشاريع «تعويض الكربون» تسوَّق كبضاعة للبرجوازية الغربية بينما تستنزف أراضي الجنوب ومناجمه لاستخراج المعادن النادرة.

هذا «الاستعمار الأخضر» كما يصفه سينيشال يكرّر منطق الإمبراطورية: الأرض مخزون يسرق والسكان يعاملون كأضرار جانبية يهجّرون بمبرر الحفاظ على «أصالة» البيئة. في المنتديات الدولية، ترسم النخب سياسات تبدو بيئية لكنها تفشل في تمويل التحول الفعلي في الجنوب، وتُحمّل الشعوب المُفقرة مسؤولية أزمةٍ أنتجتها أنماط استهلاك وتراكم عالٍ في عالم الشمال. يخبرنا سينيشال كيف تكمن طبقية أيديولوجية إلى جانب العنصرية: تحوّلت الإيكولوجيا إلى شيء من الرفاهية تميّز طبقاتٍ قادرة على «الاستدامة الاستهلاكية» فيما يُقترح على الفئات الشعبية «التقشّف» تحت شعار «شدّ الأحزمة لإنقاذ الكوكب». هذه معادلةٌ تُبرّر فقراً مقنناً وتشرعن عدم المساواة. البديل عند سينيشال يكون في إيكولوجيا تحررية: ربط النضال البيئي بالنضال الاجتماعي، واستعادة السيادة على الموارد في بلدان الجنوب، وضمان تعويضاتٍ حقيقية وتمويلات تحولية. إذا لم تُقلب علاقة القوة هذه، ستبقى «البيئة» حافظةً للوجود القديم، «غابة» تحرقها الرأسمالية.

«الضمير الأخلاقي» واليسار الانتهازي

طغى الطابع الإصلاحي على الإيكولوجيا، وعلى أثر هذا الطغيان، دجّنت وذابت داخل البنية الرأسمالية. هذا التحوّل جعلها صمّام الأمان للطبقة المهيمنة. المؤسسة البيئية احتكرت القرار البيئي، ما أدى إلى اغتراب نضاليّ بسبب استبعاد المناضلين، كما أدى ذلك إلى انغلاق طبقي داخل هذه البنية الجديدة، واختزل نضال «الإيكولوجيا المؤسسية» على «التوعية البيئية» والتعويل على «الضمير الأخلاقي».

يرى سينيشال أن هذه الأساليب أتاحت للطبقات العليا ترسيخ موقعها الطبقي، وجعل من «المؤسسة البيئية» التي تعوّل على «الضمير الأخلاقي» بمنزلة كلب حراسة للبنية الرأسمالية. يقول «إنّ عقيدة التوعية تنزلق بسهولة في الفيتيشية المجردة «للخيال» و«السرديات»، وتضمن للبرجوازية الثقافية هيمنتها على تأطير النقاش البيئي، خصوصاً لتجريد هذا النقاش من أي بُعد ثوري، أي من بُعديه النقدي والممارس. فـ«التوعية» تسمح بتجنّب أي تخصّص سياسي في سياق صراع الطبقات المتأصل في الرأسمالية». لقد حلّت التوعية إذاً كبديل من التسييس. وحين اعتقدت «الإيكولوجيا المؤسسية» أنها تواجه خللاً مناخياً لم تكن تواجه سوى قواعد النظام الرأسمالي الذي لم تساءله يوماً. فالمنظمات البيئية تعتقد أنّه بإمكانها تغيير الرأسمالية من الداخل، غير أنّ هذا الوهم الإصلاحي بمنزلة مخدر يطيل أمد الكارثة البيئية ولا يعالج مكمن العطب.

يعاين سينيشال العلاقة بين المنظمات البيئية وبين السلطة السياسية، يرى أن المؤتمرات المناخية، وخطط المنظمات البيئية مثل «غرين بيس» وغيرها متواطئون مع الرأسمالية في «تنظيم تدمير البيئة». لم تعد الإيكولوجيا إذاً ذائبة فقط في الرأسمالية بل استمدت لنفسها دوراً. وباسم «الاستدامة»، خلقت «الإيكولوجيا المؤسسية» أسواقاً جديدة: سوق الضمير الأخضر عبر التبرعات والمنظمات، وسوق «الغسل الأخضر» عبر الشراكات التجارية والاعتمادات البيئية، وسوق السلع الفاخرة الصديقة للبيئة. وهكذا أصبحت البيئة مصدر ربح ومكانة للطبقة الرأسمالية، إذ تجمع بين المكاسب الاقتصادية والرمزية في الوقت نفسه. الإيكولوجيا، بهذا المعنى، صارت أداة ناعمة للهيمنة.

يعرّج سينيشال في نقده على «اليسار البرجوازي»

الذي يحمّله مسؤولية التواطؤ مع هذه المؤسسة البيئية. يقول «إنّ المهمة الأولى المطروحة أمامنا هي تفكيك اليسار البرجوازي الذي يفرغ القضايا التي يتبنّاها من مضمونها. فهو يتغذّى عليها بعد أن يفرّغها من دمها، سواء تعلّق الأمر بالنسوية أو الإيكولوجيا أو مناهضة العنصرية. هذا اليسار ينزع الطابع التخريبي عن هذه الحركات ليجعلها قابلة للهضم ضمن النظام الاجتماعي السائد. أمّا نحن، فعلينا أن نعيد وصل هذه القضايا ضمن جبهة ثورية واحدة». وعلى هذا النحو الراديكالي، يرفض سينيشال إذعان هذا اليسار البرجوازي، وينتقد عدم قيامه بقطيعة جذرية مع النيوليبرالية مكتفياً في موقعه بوصفه «أداة إدماج رمزية» للهيمنة.

مشروع تحرري

لا شأن لجمهور الأحزاب الخضر ولا للناشطين البيئيين المنسجمين مع الوصفات النيوليبرالية في «الإيكولوجيا الثورية» كمشروع تحرري ينظّر له سينيشال. إذا كان اليسار البرجوازي مهادناً وانتهازياً، والمنظمات البيئية التي حولت الإيكولوجيا إلى مؤسسة بيئية خائنة، فالحلّ يبدأ بتحطيم كل طروحاتها والبناء من جديد. يطالب سينيشال بالقطيعة مع كل خطاب يدعو إلى «تكامل المقاربات» أي التعاون مع السلطة والمركز الرأسمالي لأنه يقود إلى الهلاك. كما يفكك شعار «الكونية المجرّدة» لأن وراءه يختبئ من يريد الدفاع عن الامتيازات: هؤلاء الذين يجنون الأرباح من «إيكولوجيا خاسرة» بعدما حولوا الإيكولوجيا إلى مؤسسة بيئية.

يقترح سينيشال بناء حركة ثورية قادرة على قلب موازنات القوى التي تعمل وفقاً لـ«سوسياليّات» (جمعيات صغيرة) لها أثرها وتؤسّس لمخارج سياسية ملموسة، لا مجرد ثرثرة وإطالة أمد الكارثة أو مؤسسة غارقة في الترهات الأخلاقوية والإنشائية الدعوية. في وسعنا اختزال مشروع كليمان سينيشال بالآتي: نحو إيكولوجيا ثورية، وهو يقترح خطوات للوصول إلى هذا المشروع. الخطوة الأولى هي انتقال من الوعي إلى الفعل، أي تجذير الإيكولوجيا في الممارسة اليومية عبر بناء حركات محلية ذاتية الإدارة، وإحياء علاقة غير رأسمالية بالعالم. فالإيكولوجيا لا تُختزل في السياسات العليا، بل تُمارس في الأرض، في التعاونيات والنضالات الميدانية التي تخلق بدائل ملموسة للنظام القائم. ثم، يدعو إلى إيكولوجيا نقابية تضع العمّال في صلب الصراع البيئي، لأنّ الطبقات العاملة هي التي تتعامل مباشرة مع الموارد الطبيعية وتدفع ثمن الإنتاجية والتنافسية. ولا يكتمل هذا المشروع من دون النضال ضد العنصرية، وهي خطوة محورية في مشروعه. أما على المستوى السياسي، فيؤكد سينيشال على ضرورة تمكين اليسار الجذري لا البرجوازي من أدوات الدولة لمواجهة الرأسمال المنظّم، خصوصاً في قطاعاته المالية، إذ لا يمكن ضبط التحوّل البيئي من دون سلطةٍ قادرة على ممارسة مشروع ضد رأس المال.

مشروع سينيشال يصل إلى ذروته في الدعوة إلى برنامج ثوري اشتراكي جماعي يقوم على تأميم وسائل الإنتاج، وتطبيق مبدأ ماركس «من كلٍّ بحسب قدرته، ولكلٍّ بحسب حاجته» مع مراعاة حدود الكوكب المادية. فالوفرة المنشودة ليست ترفاً استهلاكياً، بل توزيع عادل للثروة ينسجم مع قدرة البيئة على الاحتمال.

يدعو سينيشال إلى تحوّل مضاد، باستعادة الإيكولوجيا من المرتزقة والخونة، ونقلة هيكلية عميقة تشمل تقليص «قطاعات إنتاجية مدمّرة، وفرض ضرائب على الرأسمال والرفاهية المفرطة، وتقصير ساعات العمل، وضمان الأمن الغذائي والسكني والنقلي». بذلك تصبح الإيكولوجيا الثورية مشروعاً متكاملاً للعدالة البيئية والاجتماعية، لا مجرد تجميل أخضر للرأسمالية، ولا خلاص للكوكب من دونها.